

بلوغ الأماني

في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني
رضي الله عنه

تأليف

محمد زاهد بن الحسن النجاشي



وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقاً

١٤١٨ هـ — ١٩٩٨ م

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأميرك - خلف الجامع الأزهر الشريف ت : ٨٤٧-١٢٠٨

من تراث السكوثري

(٩)

بلوغ الأمانى

فى سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيبانى

رضى الله عنه

بقلم

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانية سابقاً

حقوق الطبع محفوظة



الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ دبر الأزك خلف الدار الأزهر الشريف ت: ١٢٠٨٩٧هـ

سَمَاءُ الْخَيْرِ الْخَيْرِ

الحمد لله الذى فضل بعض الفقهاء على بعض • أرشد طوائف منهم الى وجوه الفرق فيما بين الواجب والفرص • ووسع مداركهم فى دقائق المسائل ، وانا راعى عقولهم الى تعرف مراتب الدلائل • والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالحنيفية السمحة البيضاء • وعلى آله المطهرين الأصفياء • وصحبه القادة الأتقياء • ما اقتنقت قرائح الفقهاء لاستنباط أحكام الشريعة الغراء •

وبعد ، فان تاريخ الفقه يشهد بأن الكتب المؤلفة فى مذاهب الأئمة المتبوعين من المدونة والحجة والأمر وما بعدها إنما ألفت على ضوء كتب ذلك الإمام العظيم أبى عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى رضى الله عنه ، ولم تزل كتبه بأيدي الفقهاء من كل مذهب قبل حلول قرون التقليد البحث يتداولونها ويستفيدون منها تقديرًا منهم لما امتازت به — على سبقتها — من رصافة فى التعبير ، ووضوح فى البيان ، وإحكام فى التأصيل ، ودقة فى التفریع مع التدليل على مسائل ربما تعزب أدلتها عن علم كثير من الفقهاء من أهل طبقته فضلًا عن بعدهم ، على توسعها فى توليد المسائل فى الأبواب بحيث ينبىء عن تغلغل مؤلفها فى أسرار العربية ويده البيضاء فى اكتشاف أسرار التشريع ، من غير أن تظهر على كلامه شهوة الأفراد والشذوذ عن الفقهاء عندما يناقشهم فى آرائهم ، ولا التحيل والتشغيب فى سبيل الدعوة إلى آراء استبانت له بخلاف ما ابتلى به كثير ممن ينتمى إلى الفقه • بل ينوه بفضل شيوخه عليه ويسجل أقوالهم فى مؤلفاته عرفانًا منه لجميلهم ، ولم يغره اتساع علمه بل زاده إخلاصًا إلى إخلاص فكافاه الله سبحانه على ذلك بأن بارك فى علمه حتى أصبحت كتبه لحمى الكتب المدونة فى جميع المذاهب بدون مغالاة ، وأدام الارتفاع بكتبه مدى القرون •

وأنت ترى أنه لم يصل إلينا من أى فقيه فى طبقة أو فى طبقة تقارب طبقة ، كتب فى الفقه قدر ما وصل إلينا من مؤلفاته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقد جمعت فى هذه الأوراق ما يسهل نقله ولا يحسن جهله من سيرة ذلك الإمام الجليل عرفانا لجميله ، وإثارة لبعض النواحي من تاريخ الفقه ، وإثارة لاهتمام أهل الشأن بأحياء مآثره ، وسميت هذه المجالة (بلوغ الأمانى فى سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيبانى) جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

نسبه ومولده ومنبت أرومته

هو الإمام المجتهد أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى نسباً على ما ذكره الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادي الشافعى فى كتاب التحصيل فى أصول الفقه ، وأقره الجلال السيوطى فى (جزيل المواهب فى اختلاف المذاهب) وغالب أهل العلم على أنه شيبانى ولأى ولا نسباً والله أعلم . وغلط من قال فى جده واقد بدل فرقد وقد ترجم ابن عساكر لوالده فى تاريخ دمشق ووصفه بالغنى والثروة . وقال القاضى أبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز البصرى - شيخ الإمام أبى جعفر الطحاوى - : محمد بن الحسن ، أصله من قرية قرب الرملة بفلسطين أعرفها وأعرف قوماً من أهلها ، ثم انتقلوا إلى الكوفة هـ . أخرجه أبو عبد الله الحسين بن على بن محمد الصيمرى بسنده إليه فى كتابه (أخبار أبى حنيفة وأصحابه) .

وقال محمد بن سعد كاتب الواقدي فى الطبقات الكبرى : محمد بن الحسن ، أصله من الجزيرة وكان أبوه فى جند الشام فقدم واسط فولد محمد بها سنة اثنتين وثلاثين ومائة هـ . وهو الصحيح فى ميلاده

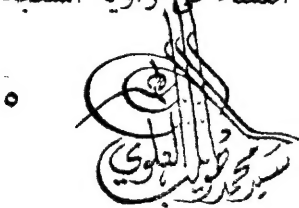
وعليه أطبقت كلمات من ورخه من الأقدمين ، وأما ما حكاه ابن عبد البر
فى الالتقاء ونقله ابن حلكان فى (وفيات الأعيان) من أنه ولد سنة
خمس وثلاثين ومائة فسهو محض . وقال الخطيب فى تاريخ بغداد :
محمد بن الحسن ، أصله دمشقى من أهل قرية تسمى حرستا (بمهمات
بفتححتين فسكون قرية مشهورة بغوطة دمشق) قدم أبوه العراق فولد
محمد بواسط ونشأ بالكوفة اه .

ولعل الصواب أن أصله ، من الجزيرة — من منتجع بنى شيان من
ديار ربيعة — ثم صار والده فى جند الشام ، وأثرى فأقام أهله مرة فى
حرستا ومرة بقرية فى فلسطين وكلتاها من أرض الشام ، ومن هناك
انتقلوا إلى الكوفة وفى أثناء إقامة أبويه بواسط لأجل عمل كان والده
تولاه بها ولد محمد ثم عادوا إلى الكوفة وبها كانت نسأته والله أعلم .

مبدأ امره واتصاله بأبى حنيفة

كان محمد بن الحسن رحمه الله ذكيا متقد الذهن ، سريع الخاطر ،
قوى الذاكرة ، ذا نفس وثابة إلى المعالى ، جميل الخلق والخلق للغاية ،
سمينا خفيف الروح ، متملئا صحة وقوة . نشأ فى بلهنية العيش بيت
والده السرى المثرى بالكوفة ،

ولما بلغ سن التمييز تعلم القرآن الكريم وحفظ منه ما تيسر له
حفظه وأخذ يحضر دروس اللغة العربية والرواية وكانت الكوفة إذ ذاك
مهد العلوم العربية ، ودار الحديث والفقہ منذ نزلها كبار الصحابة واتخذها
على بن أبى طالب كرم الله وجهه عاصمة الخلافة . ولما بلغت سنه
أربع عشرة سنة حضر مجلس أبى حنيفة لیسأله عن مسألة نزلت به .
فسأله قائلا : ما تقول فى غلام احتلم بالليل بعد ما صلى العشاء ؟ هل يعيد
العشاء . قال : نعم ! فقام وأخذ نعله وأعاد العشاء فى زاوية المسجد .



وهو أول ما تعلم من أبي حنيفة فلما رآه يعيد الصلاة أعجبه ذلك وقال :
إن هذا الصبي يفلح إن شاء الله تعالى . وكان كما قال ، ثم ألقى الله
سبحانه في قلبه حب التفقه في دين الله بعد أن رأى جلال مجلس الفقه
فعاد إلى المجازين يريد التفقه فقال له أبو حنيفة : استظهر القرآن أولاً .
لأن المتفقه على طريقة أبي حنيفة في حاجة شديدة إلى ذلك لأنه مادام
الاحتجاج بالقرآن ميسوراً لا يعدل عنه إلى حجة سواه وله المنزلة الأولى
في الحجة عنده حتى إن عوماته قطعية فيما لم يلحقه تخصيص .

ويظهر أن محمد بن الحسن لم يكن إذ ذاك جيد الاستظهار للقرآن
فغاب سبعة أيام ثم جاء مع والده وقال : حفظته . وسأل أبا حنيفة عن
مسألة فقال له أبو حنيفة : أخذت هذه المسألة من غيرك أم أنشأها من
نفسك ؟ فقال محمد : من عندي فقال أبو حنيفة : سألت سؤال الرجال ،
أدم الاختلاف إلينا وإلى الحلقة . ومن ذلك الحين أقبل محمد بن الحسن
إلى العلم بكلية يلازم حلقة أبي حنيفة ، ويكتب أجوبة المسائل في مجلسه
ويدونها وبعد أن لازمه أربع سنين على هذا الوجه مات أبو حنيفة رضى
الله عنه ثم أتم الفقه على طريقة أبي حنيفة عند أبي يوسف هذا ما يتعلق
بفقه أبي حنيفة .

وأما الحديث فقد سمعه من أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما من
مشايخ كثيرة بالكوفة والبصرة والمدينة ومكة والشام وبلاد العراق
بل جسع إلى علم أبي حنيفة وأبي يوسف علم الأوزاعي ، والثوري ،
ومالك رضى الله عنهم حتى أصبح إماماً لا يبلغ شأوه في الفقه قويا في
التفسير والحديث حجة في اللغة باتفاق أهل العلم ممن لم يصب بتعصب
وهو النائل ورث ثلاثين ألفاً فصرفت نصفها في اللغة والشعر والنصف
الآخر في الفقه والحديث كما صح ذلك عنه بطرق .

ويعلم مبلغ انصرافه إلى العلم مما رواه الذهبي في جزئه الذي ألفه
في ترجمة محمد بن الحسن ، وابن أبي العوام الحافظ عن الطحاوي

عن أبي خازم عن بكر بن محمد العمى عن محمد بن سماعة أنه قال :
كان محمد بن الحسن قد انتقل قلبه من فكره في الفقه حتى كان الرجل
يسلم عليه فيدعو له محمد فيزيده الرجل في السلام فيرد عليه ذلك الدعاء
بعينه الذي ليس من جواب الزيادة في شيء ، ومما رواه أبو خازم أيضا
قال حدثني ابن بنت محمد بن الحسن قال قلت لأبي صفى ما كان جدى
يعمل في منزله قالت : كان والله يابنى يكون في هذا البيت وحوله الكتب
ما كنت أسمع له كلمة غير أنى كنت أراه يشير بحاجبه واصبعه •
وذكر الذهبى في جزئه والصيمرى والخطيب بسندهما عن محمد بن سماعة
أنه قال : ان محمد بن الحسن قال : لأهله لا تسألونى حاجة من حوائج
الدنيا تشغلوا قلبى ، وخذوا ما تحتاجون إليه من وكيلى فانه أقل لهوى
وأفرغ لقلبى اه • ومن خصه الله سبحانه بمثل تلك المواهب وأقبل إلى
العلم هذا الاقبال وأخلص هذا الاخلاص لا بد وأن تثمر مساعيه هذا
الاثمار رضى الله عنه ونفعنا ببركات علومه •

شيوخه فى الحديث

أما مشايخه فى الحديث :

فمن أهل الكوفة أبو حنيفة ، واسماعيل بن أبى خالد الأحمسي ،
وسفيان بن سعيد الثورى ، ومسعر بن كدام ، ومالك بن مغول ، وقيس
ابن الربيع ، وعمر بن ذر ، وبكير بن عامر ، وأبو بكر النهشلى عبد الله بن
قطاف ، ومحل بن محرز الضبى ، وأبو كدينة يحيى بن المهلب البجلي ،
وعبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودى ، واسرائيل بن يونس ،
وبدر بن عثمان ، وأبو الاحوص سلام بن سليم ، وسلام بن سليمان ،
وأبو معاوية الضرير محمد بن خازم ، وزفر بن الهذيل ، وأبو يوسف
القاضى ، واسماعيل بن ابراهيم البجلي ، وفضيل بن غزوان ، والحسن
ابن عمار ، ويونس بن أبى اسحاق السبيعى ، وعبد الجبار بن العباس
الهمدانى ، ومحمد بن أبان بن صالح القرشى ، وسعيد بن عبيد الطائى ،
وأبو فروة عروة بن الحارث الهمدانى ، وأبو زهير العلاء بن زهير •

ومن أهل المدينة مالك بن أنس ، وإبراهيم بن محمد بن أبي يحيى ،
وعبيد الله بن عمر بن حفص العمري ، وأخوه عبد الله ، وخارجة بن
عبد الله بن سليمان ، ومحمد بن هلال ، والضحاك بن عثمان ، وإسماعيل
ابن رافع ، وعطاف بن خالد ، وإسحاق بن حازم ، وهشام بن سعد ،
وأسماء بن زيد النيثي ، وداود بن قيس الفراء ، وعيسى بن أبي عيسى
الخطاط ، وعبد الرحمن بن أبي الزناد ، ومحمد بن عبد الرحمن بن
أبي ذئب ، وخشيم بن عراك .

ومن أهل مكة سفيان بن عيينة الكوفي نزيل مكة ، وزمعة بن صالح ،
واسماعيل بن عبد الملك ، وطلحة بن عمرو ، وسيف بن سليمان ،
وإبراهيم بن يزيد الأموي ، وزكريا بن إسحاق ، وعبد الله بن عبد الرحمن
ابن يحيى الثقفي الطائفي .

ومن أهل البصرة أبو العوام عبد العزيز بن الربيع البصري ، وهشام
ابن أبي عبد الله ، والربيع بن صبيح ، وأبو حرة واصل بن عبد الرحمن ،
وسعيد بن أبي عروبة ، وإسماعيل بن إبراهيم البصري ، والمبارك بن فضالة .

ومن واسط عباد بن العوام ، وشعبة بن الحجاج ، وأبو مالك
عبد الملك النخعي .

ومن أهل الشام أبو عمرو عبد الرحمن الأوزاعي ، ومحمد بن راشد
المكحول ، وإسماعيل بن عياش الحمصي ، وثور بن يزيد الدمشقي .

ومن خراسان عبد الله بن المبارك .

ومن أهل اليمامة أيوب بن عتبة التيمي وغير هؤلاء من أهل تلك
البلاد وغيرها ولم يزهده في الرواية عن أقرانه وعن هو دونه كما هو شأن
الأكابر في روايتهم عن الأصاغر .

بعض أصحابه وتلاميذه وجلة ممن اخذ عنه

ولما طار صيت محمد بن الحسن في الآفاق وسارت بتصانيفه الركبان قصده أناس من أقاصى البلدان للتحقق عنده حيث كان بلغ أعلى مراتب الاجتهاد وإن كان يحافظ على اتسابه لأبي حنيفة النعمان عرفانا لجميل يده عليه في الفقه ، ولم يضع استمراره على اتسابه هذا من مرتبته إلا عند من لا يعرف مراتب الرجال .

ويصعب استقصاء من تخرج به فنكتفي هنا بذكر جملة من أصحابه وتلاميذه ليعلم أنه شيخ المجتهدين في عصره : فمنهم أبو حفص الكبير البخاري أحمد بن حفص المجلي - ومنه كان البخاري تلقى فقه أهل الرأي وجامع الثوري قبل رحلته - ، وأبو سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني وبه انتشرت الكتب الستة في مشارق الأرض ومغاربها ، وأبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي أحد الأئمة الأربعة ، وأبو عبيد قاسم بن سلام الهروي ذلك الإمام المجتهد الكبير ، وعمر بن أبي عمرو الحرائي ، ومحمد بن سماعة التميمي ، وعلي بن معبد بن شداد الرقي من جملة من روى الجامع الكبير والجامع الصغير ، ومعل بن منصور الرازي ، وأبو بكر بن أبي مقاتل ، وأسد بن الفرات القيرواني مدون مذهب مالك وشيخ سخون ، ومحمد بن مقاتل الرازي شيخ ابن جرير ، ويحيى بن معين الغطفاني إمام الجرح والتعديل ، وعلي بن مسلم الطوسي ، وموسى بن نصر الرازي ، وشداد بن حكيم البلخي ، والحسن بن حرب الرقي ، وابن جبلة ، وأبو العباس حميد ، وأبو التوبة ربيع بن نافع الطلبي ، وعبيد الله بن أبي حنيفة الدبوسي ، وأبو بريد عمرو بن يزيد الجرمي ، ومصعب بن عبد الله الزبيري ، وأيوب بن الحسن النيسابوري ، وخلف بن أيوب البلخي ، وعلي بن صبيح ، وعقيل بن عتبة ، وعلي بن مهران ، وعمر بن مهير ، ويحيى بن أكثم ، وأبو عبد الرحمن المؤدب مؤدب آل شبيب ، وعلي بن الحسن الرازي ، وهشام بن عبيد الله الرازي ،



وأبو جعفر أحمد بن محمد بن مهران النسوي راوي الموطأ عنه ، وشعيب ابن سليمان الكيسانى راوي الكيسانيات عنه ، وعلى بن صالح الجرجاني راوي الجرجانيات عنه ، واسماعيل بن توبة القزويني راوي السير الكبير عنه ، وأبو بكر ابراهيم بن رستم المروزي راوي النوادر عنه ، وأبو زكريا يحيى بن صالح الوحاظي الحمصي من شيوخ البخاري بالشام ، وأبو موسى عيسى بن أبان البصري راوي الحجج على أهل المدينة عنه ومؤلف كتاب الحجج الكبير وكتاب الحجج الصغير وكتاب الرد على المريسي والشافعي في شروط قبول الأخبار ، وسفيان بن سحبان البصري صاحب كتاب العلل وغيرهم .

ومحمد بن عمر الواقدي روى عنه كما روى هو عن الواقدي وذلك من رواية الأقران بعضهم من بعض . ونكتفي بذكر هذا المقدار ممن تفقه لديه وأخذ عنه .

رحلته إلى مالک وسماعه الموطأ من لفظه

وعندما بدأ الموطأ يذيع في أوائل عهد المهدي رحل محمد إلى مالک ولازمه ثلاث سنين وجملته ما سمعه من لفظ مالک من الحديث نصو سبعمائة حديث مسند كما صح ذلك بطرق عنه . وسمع من سائر شيوخ المدينة في هذه الرحلة زيادة على ما كان سمعه منهم في رحلاته السابقة .

وللموطأ نحو اثنتين وعشرين رواية تختلف زيادة ونقصاً يشير الى بعض ذلك الدارقطني في جزء ألفه في اختلاف الموطآت واتفاقها ، وموطأ محمد يعد من أجود الموطآت ان لم يكن أجودها مطلقاً لأنه سمعه من لفظه بترو في مدة ثلاث سنوات ، ولأنه يذكر بعد أحاديث الأبواب ما اذا كانت تلك الأحاديث مما أخذ به فقهاء العراق أو خالفوه مع سرد الأحاديث التي بها خالفوا تلك الأحاديث . وهذه ميزة عظيمة يمتاز بها موطأ محمد عن باقي الموطآت ، كما أن موطأ يحيى الليثي المتوفى سنة

أربع وثلاثين ومائتين. يمتاز عن الباقي بسرده آراء مالك في مسائل بعد ذكره الأحاديث ، وإنما كان ملك كتب الموطأ لنفسه لتلا يغلط هو عند إسماعه لأحاديثه لا لأجل أنه ينسخوه ويتداولوه ، ولذلك كان مالك يتصرف فيه زيادة ونقصا عند كل سماع . فاختلفت النسخ باختلاف سماع الرواة فيكون كل راو هو المدون لروايته باعتبار سماعه عليه لا بمجرد النسخ من نسخته ، وهذا هو سر اختلاف نسخ الموطأ إلى نحو اثنين وعشرين نسخة فيعلم من ذلك أن عمل محمد في الموطأ بعد عملا جليلا جداً عند من يعنى بأحاديث الأحكام على أن أحاديث النخاج كانت مشتركة بين علماء الأمصار معلومة لهم مروية عندهم لكثرة حجهم وزيارتهم ولا يفوتهم شيء منها في الغالب . وإنما ألهم معرفة ما إذا كانوا أخذوا بتلك الأحاديث أم تركوها لأدلة أخرى وقام بمحمد في موطئه بتعريف ذلك حيث بين مواطن الأخذ كس بين مواضع الترك بأدلتها .

بعض ما جرى بينه وبين مالك ومقارنة أهل العلم بينهما

روى الخطيب بسنده إلى مجاشع بن يوسف أنه قال : كنت بالمدينة عند مالك وهو يفتي الناس فدخل عليه محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وهو حدث (وذلك قبل أن يرحل إليه لسماع الموطأ منه) فقال : ما تقول في جنب لا يجد الماء إلا في المسجد ؟ . فقال مالك : لا يدخل جنب المسجد . قال فكيف يصنع وقد حضرت الصلاة وهو يرى الماء ؟ قال : فجعل مالك يكرر لا يدخل جنب المسجد . فلما أكثر عليه قال له مالك : فما تقول أنت في هذا ؟ . قال يتيمم ويدخل فيأخذ الماء من المسجد ويخرج فيغتسل . قال : من أين أنت ؟ قال : من أهل هذه . وأشار إلى الأرض . ثم حض . قالوا : هذا محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة . فقال مالك : محمد بن الحسن ، كيف يكذب وقد ذكر أنه من أهل المدينة ؟ . قالوا : إنما قال من أهل هذه وأشار إلى الأرض . قال هذا أشد على من ذاك أه . ويقال : إن محمد بن الحسن حضر



يوماً مجلس مالك فوجده يقول ما مضاه ، لا تصدقوا أهل العراق ولا تكذبوهم وأزلوهم منزلة أهل الكتاب . فلما بصر مالك بمحمد ، تغير وخجل وجعل يقول : هكذا كان يقول بعض مشايخنا . والله أعلم بصحة هذا الخبر . وروى أبو اسماعيل الهروي في ذم الكلام يستنده إلى الشافعي كأنه سمع محمد بن الحسن يقول : رأيت مالكاً وسألته عن أشياء فما كان يحل له أن يفتي . — ثم ذكر ما جرى بين الشافعي وبين محمد بن الحسن من الأخذ والرد في ذلك على زعمه — ولقظ ابن عبد البر في الانتقاء ، أن محمد بن الحسن قال : ما كان على صاحبكم أن يتكلم وما كان لصاحبنا أن يسكت . يريد أن مالكاً ، لم يكن متعينا للافتاء بحيث يجب عليه أن يفتي في وقت خاص ، لوجود علماء في طبقته وفيهم من هو أعلى كعباً منه في ذلك الوقت ، وأما أبو حنيفة فلم يكن في عهده من هو أكفأ منه في الفتيا ويحفظ منه في الفقه حتى تعين للافتاء ووجب عليه أن يفتي .

وهذا أمر لا يظهر إلا لمن يعلم مراتب علماء المدينة في عهد مالك ، ومراتب علماء العراق في زمن أبي حنيفة فعلى تقدير صحة هذا أو ذلك من محمد يظهر أن محمد بن الحسن ، وإن كان يقر لمالك بكونه قنوة في الحديث لكنه لم يكن يراه بهذه المرتبة في الفقه ولعل ذلك من كثرة ما كان يسمع منه من قوله : لا أدري في المسائل ، وبطئه في الجواب كما أنه لم يكن يرى عنده ما تعود أن يراه في علماء العراق من سرعة خاطر ، والاجابة الحاضرة على اطراد في التفرع واتساق في التأصيل . ومثل محمد بن الحسن لا يلام في المقارنة بين أهل العلم ولكل عالم رأيه في المقارنة بين العلماء لكن لا يخفى أن مالك بن أنس رضى الله عنه ما كان يجيب إلا في النوازل وكان يأبى الخوض في جواب ما لم يقع ، وهذا هو الباعث على قلة إجابته عن المسائل حتى إن الموطأ من رواية يحيى الليثي الذي حوى آراء مالك مع أحاديثه ، لم يشتمل إلا على نحو ثلاثة آلاف مسألة ، وربما يكون هذا المقدار أقل بكثير مما ينتجه

أبو حنيفة وأصحابه في نحو ثلاثة أشهر . وأما كثرة المسائل في أسعة
التأخيرين المروية عن مالك فليست مما يطمئن إليها القلب كما يتبين ذلك
مما قالوه في عبد الملك بن حبيب وصاحب العتبية ومن بعدهما وقصارى
القول فيها أنها تخريجات على رأى مالك .

وصفوة القول : أن محمد بن الحسن سمع الموطأ من مالك لكنه
كان يرى أن في آرائه ما يرد عليه حتى صنف كتاب (الحجج) المعروف
بالاحتجاج على أهل المدينة وتوجد نسخة مخطوطة منه في المكتبة
المحدودة بالمدينة المنورة تحت رقم ١٢٤ ونسخة أخرى في مكتبة
(نور عثمانية) باصطنبول تحت رقم ١٤٩٢ وفيهما قصص وكنت اطلعت
قبل سنين متطاوله على كراريس غلب على ظني أنها من الكتاب المذكور .
تحتوى على أبواب خلت منها النسختان المذكورتان ثم سميت جهدى
أخيراً لأهتدى إلى موضع وجود تلك الكراريس من الجامع في خزانات
اصطنبول على بعد الدار لكن لم أهتد إلى موضع وجود تلك الكراريس
بين الجامع للحفظة بها ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً . وهو كتاب
قلنا تجد له نظيراً في كتب الردود وقلنى فيما رد به الشافعى على مالك
أثر ذلك الكتاب ملموساً في جميع خطوات الرد الوارد ولا تجد مثل
تلك الاجادة فيما رد به الشافعى على محمد في بعض مسائله .

وكثير من أهل العلم يفضل محمد بن الحسن على بعض مشايخه
في الفقه فضلاً عن مشايخه في الحديث . وقال الحافظ أبو القاسم بن
أبى العوام السعدي سمعت الطحاوى يقول قال سمعت محمد بن سنان
يقول سمعت عيسى بن سليمان يقول : لما قدم يحيى بن أكثم مع المأمون
يريد مصر لقي يحيى بن صالح الوحاظى (من مشايخ البخارى بالشام)
فقال له : يا أبا زكريا أيما كان أكثر تيقظاً مالك بن أنس أو محمد بن
الحسن ؟ فقال له يحيى بن صالح : كان محمد بن الحسن قائماً مستقلاً
أيقظ من مالك جالساً مجتمعاً اهـ . وروى الخطيب ، بسنده عن يحيى بن



صالح أنه قال : قال لى ابن أكنم : قد رأيت مالكا وسمعت منه ورافقت
محمد بن الحسن فأيهما كان أفقه ؟ • فقلت : محمد بن الحسن [فيما يأخذه
لنفسه] أفقه من مالك ا ه • وما بين القوسين هكذا فى النسخة المطبوعة
ولعله مدرج من مصحح الطبع • وقال الذهبى : اتته الىه رياسة الفقه
بالعراق بعد أبى يوسف وتفقه به أئمة وصنف التصانيف وكان من
أذكىاء العالم ا ه •

صلته بتدوين مذهب مالك وتفقه أسد بن الفرات

عنه محمد بن الحسن

كان أسد بن الفرات خرج من القيروان الى الشرق سنة اثنين
وسبعين ومائة فسمع الموطأ على مالك بالمدينة وكان أصحاب مالك ؛
ابن الفاسم وغيره يحملونه على السؤال عن مسائل حيث كان مالك يتلطف
معه ويجيبه عن مسائله دونهم لكونه رحل اليه من بلد بعيد لكن لما أكثر
السؤال أخذ مالك يتضايق من ذلك حتى قال له يوماً : (سلسلة بنت
سلسلة اذا كان كذا كان كذا إن أردت هذا فعليك بالعراق) • وفى لفظ
أنه سأل مالكا يوماً عن مسألة فأجابه عنها فزاد أسد فى السؤال فأجابه
ثم زاده فقال له مالك : (حسبك يا مغربى إن أحببت الرأى فعليك
بالعراق) • فوجد أسد أن الأمر يطول عليه عند مالك ويفوته ما يرغب
فيه من لقى الرجال والرواية عنهم فرحل الى العراق فلقى أباً يوسف
وناوله نسخته من الموطأ بروايته ، بطلب من أبى يوسف فاطلع على أحاديث
الموطأ برواية أسد ، ولما بلغ ذلك محمد بن الحسن قال : أبو يوسف
يكتفى بشم العلم • يريد أنه لم يرحل مثله لسماح الموطأ بل اكتفى
بالتناول من يد من يطلب العلم عنده • لكن أباً يوسف قديم الطلب
للحديث وعنده سعة فى رواية الآثار إذ ذاك فيكفيه أن يطلع على نسخة
صحيحة من الموطأ وأما محمد بن الحسن فانما سمعه من مالك وهو
فى سن الطلب قبل أن يتسنع فى معرفة الآثار فشتان ما بين الحالتين ،

فلعل هذا الكلام لا يثبت عن محمد بن الحسن وإن عزاه إليه بعض قدماء المغاربة بدون سند . فسمع أسد بن الفرات بالعراق من أصحاب أبي حنيفة وتفقه عليهم : منهم أبو يوسف القاضي ، وأسد بن عمرو البجلي ، ومحمد بن الحسن وغيرهم من فقهاء العراق وكان أكثر اختلافه إلى محمد بن الحسن ولما حضر عنده قال له : (انى غريب قليل التفقه ، والسماع منك نزر ، والطلبة عندك كثير فما حيلتى ؟) . فقال محمد : اسمع مع العراقيين بالنهار ، وقد جعلت لك الليل وحدك فقبيت عندي وأسمعك . وقال أسد : وكنت أبيت عنده وينزل إلى ويجعل بين يديه قدحا فيه الماء ثم يأخذ فى القراءة فاذا طال الليل ورأى نعست ملا يده ونفضح به على وجهي فأنتبه فكان ذلك دأبه ودأبى حتى أتيت على ما أريد من السماع عليه اهـ . وكان محمد بن الحسن يتبعه بالنفقة بعد أن علم أن نفقته نفدت وكان فى إحدى المرات عطاء ثمانين دينارا حينما رآه يشرب من ماء السبيل ، وسعى فى نفقته عندما أراد أسد الانصراف من العراق فى حكاية طريفة يطول ذكرها وهى مسرودة فى الجزء الثانى من معالم الايمان فى تاريخ القيروان .

ولا أعلم بين أئمة العلم من كان يصبر صبر محمد بن الحسن فى تعليم تلاميذه ولا من يؤثر إشاره فى الاتفاق عليهم خلا أستاذه الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه . وأما ما يروى عن مالك رضى الله عنه من مشاطرته فى ماله للشافعى فمن قبيل تلك الحكايات المختلفة فى رحلته المكذوبة التى سنبن وجوه كونها مختلفة ولم أر روايتها فى كلام من يوثق بروايته بسند يعول على مثله بخلاف ما هنا . ومما قاله أسد عن رحلته العراقية : (بينما نحن كنا مع محمد بن الحسن يوما فى حلقته اذ أتاه رجل يتخطى الناس حتى صار اليه فسمعنا محمداً يقول : إنا لله وانا اليه راجعون ، مصيبة ما أعظمها مات مالك بن أنس ، مات أمير المؤمنين فى الحديث) . ثم فشا الخبر فى المسجد وماج الناس حزنا لموت مالك بن أنس رضى الله عنه وكان اذا حدث عن مالك بعد ذلك اجتمع عليه الناس

وانسدت اليه الطرق رغبة منهم في حديث مالك ، واذا حدث عن غيره لم يجئه الا الخواص ا ه .

وهذا مصداق ما روى الخطيب بسنده عن محمد بن الحسن أنه قال : ما أعلم أحداً أسوء ثناء على أصحابه منكم اذا حدثتكم عن مالك ملائم على الموضع واذا حدثتكم عن أصحابكم إنما تأتونني متكارهين ا ه . ومثله في الكامل لابن عدى والانتقاء لابن عبد البر ولا عجب في ذلك فان حديث العراقيين كان قد امتلأ به العراق فهم متمكنون من سماعه متى شاءوا وأما حديث مالك إمام دار الهجرة فيحق لهم أن يرغبوا في سماعه من مثل محمد بن الحسن ولا سيما بعد أن بلغهم نبأ وفاة مالك رضى الله عنه لبعده الدار وانقطاع عهد الرحلة اليه بوفاة مع اطراء محمد لمالك هذا الاطراء وذلك سر تضاعف الرغبات في سماع حديثه فعذر أصحابه في ذلك ظاهر .

ثم انصرف أسند من العراق بعد أن زقه محمد العلم زقا ، ومر في طريقه إلى بلده بالمدينة المنورة ليسأل بها أصحاب مالك عن المسائل التي تلقاها من محمد بن الحسن ولم يجد عندهم ما يطلبه بل أشاروا اليه بالرحيل إلى أصحاب مالك بمصر فارتحل ولما وصل إلى مصر قصد إلى عبد الله بن وهب وقال له : هذه كتب أبي حنيفة . وسأله أن يجيب فيها على مذهب مالك فتورع ابن وهب وأبى فذهب إلى ابن القاسم فأجابه إلى ما طلب فأجاب فيما حفظ عن مالك ، بقوله وفيما شك قال اخال وأحسب وأظن وتسمى تلك الكتب الأسدية ثم رجع بها إلى القيروان وحصلت له رياضة العلم بتلك الكتب . وهذا لفظ أبي اسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء ، وأما لفظ (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) فهو ان أسدا أتى إلى ابن وهب وسأله أن يجيبه في مسائل أبي حنيفة على مذهب مالك فتورع فذهب إلى ابن القاسم فأجابه عنها بما حفظ عن مالك وفي غيره يقول سمعته يقول في مسألة ، كذا وكذا ومسألتك مثلها ، ومنها

ما أجابه على أصول مالك وهذه الأسدية هي أصل مدونة سحنون
 أصلح ابن القاسم منها أشياء على يد سحنون اهـ . ولفظ ابن أبي حاتم
 في الجرح والتعديل عند ترجمة عبد الرحمن بن القاسم في المجلد الرابع
 منه ، كان أسد سأل محمد بن الحسن عن مسائل ثم قدم مصر فسأل
 ابن وهب أن يجيبه فيما كان عنده منها عن مالك ، وما لم يكن عنده
 عن مالك منها فمن عنده فلم يفعل فأتى عبد الرحمن بن القاسم
 فتوسع له فأجابه على هذا فالتاس يتكلمون في هذه المسائل اهـ .
 ونظر ابن عبد البر نص هذه العبارة في الاتقاء . وابن وهب يغلب
 عليه الرواية فمشله لابد وأن يابى وأما ابن القاسم فقد لازم مالكا
 نحو عشرين سنة يبقطة واتباه يسمع منه ويتفقه عليه ومثله يكون
 أكثر إقداما على مثل ذلك والمالكية يفضلونه على باقى أصحاب مالك
 فى الفقه وأما كلام الناس فى مسائل ابن القاسم هذه فلاستبعادهم
 استظهار هذا المقدار العظيم من المسائل عن مالك يدرون كتاب مدون
 عنده لكن الحفظ من مواهب الله سبحانه ، وذكر فى معالم الايمان
 أن أسد بن الفرات بعد أن أبى ابن وهب مر بأشهب فسأله عن
 مسألة فأجابه فقال له أسد : من يقول هذا مالك أو أبو حنيفة ؟ .
 فقال أشهب : هذا من قولى عافاك الله . فقال له : إنما سألتك عن قول
 مالك وأبى حنيفة فتقول هذا قولى . فدار بينهما كلام فقال عبد الله بن
 عبد الحكم لأسد : مالك ولهذا ؟ رجل أجابك بجوابه نأى شئت فاقبل
 وإن شئت فأترك . ففرق بينهما ، فأتى أسد إلى عبد الرحمن بن القاسم
 وسأله كذا سبق . ويقال إن أشهب أزدري مالكا وأبا حنيفة مرة حيث
 انجر الكلام إلى ذكرهما فى مجلسه فقال له أسد : يا أشهب يا أشهب
 يا أشهب . فأسكته الطلبة . وقيل له : ماذا أردت أن تقول له قال :
 أردت أن أقول له : مثلك ومثلها ، مثل رجل أتى بين بحرین فبال فرغى
 بوله فقال : هذا بحر ثالث . ويقال بل قال ذلك له مشافهة كما فى معالم
 الايمان والله أعلم .

ولا يخفى أنه لولا الكتب التي تلقاها أسد من محمد في فقه
أبي حنيفة وقدمها لابن القاسم ليجابوه عن مسائلها على مذهب مالك
عن ظهر القلب لما تمكن أسد من الاجادة في السؤال ولا ابن القاسم
من الجواب عن كل مسألة يسأله في أبواب الفقه على ترتيب أهل
العراق فعلى ضوء كتب محمد تم تدوين أسد لتلك المسائل التي هي
أصل مدونة سحنون . ولما أراد أسد الانصراف إلى المغرب بتلك
المسائل التي دونها في ستين كتابا وسماها الأسدية قام عليه أهل
مصر فسألوه في كتاب الأسدية أن ينسخوه فأبى عليهم فقدموه إلى
القاضي بمصر . فقال لهم القاضي : وأي سبيل لكم عليه ؟ رجل سأل
رجلا فأجابه وهو بين أظهركم فاسألوه كما سأله . فرغبوا إلى القاضي
في سؤاله أن يقضى حاجتهم . فسأله القاضي فأجابه إلى ذلك -
فنسخوها حتى فرغوا منها ونسخت نسخة أخرى منها في نحو ثلاثمائة
رق (وهو المراد بالجلد في لفظ ابن أبي حاتم) لتبقى عند ابن القاسم .
ولا بأس أن تشير هنا إلى أن الصلة بين المذهبين ليست مقتصرة على كون
أسد دون مذهب مالك على ضوء كتب محمد بل كان مالك كثير
المذاكرة في الفقه مع أبي حنيفة كلما زار الثاني المدينة المنورة وذكر
غير واحد من أهل العلم كيف كان يذاكره في الفقه بالمسجد النبوي
إلى أن ينبلج ضوء الفجر في ليالي إقامة أبي حنيفة بالمدينة المنورة .
وذكر القاضي عياض في أوائل المدارك أن الليث بن سعد رأى مالكا
وهو يعمق فسأله : أراك تعرق . فقال مالك : عرقت مع أبي حنيفة
إنه لفقيه يامصرى . وأخرج ابن أبي العوام الحافظ عن يوسف بن أحمد
المكي عن محمد بن حازم الفقيه عن محمد بن علي الصائغ عن إبراهيم بن
محمد عن الشافعي عن عبد العزيز الدراوردي : أن مالكا كان ينظر
في كتب أبي حنيفة^(١) ويستفهم بها كما في الجزء الرابع من فضائل

(١) ومما يذكر في مؤلفات الأقدمين من كتب أبي حنيفة كتاب الروابي
ذكره ابن أبي العوام وكتاب اختلاف الصحابة ذكره أبو عاصم الصامري

أبى حنيفة ، بالمكتبة الظاهرية بدمشق فى مجموعة محفوظة بها تحت رقم ٦٢ وعلى ذلك الجزء طباق وسماعات وبه تتم نسخة دار الكتب المصرية لأن بها خرما حاولوا اتمام نقصها بخط حديث إلا أنها لا تزال ناقصة فموضع الخط الحديث فى حاجة إلى النسخة الدمشقية المذكورة ، وترى فى الأم بعض مسائل يقول الشافعى فيها رواية عن الدراوردى : أخذها مالك عن أبى حنيفة بل روى الطحاوى عن الدراوردى أنه قال : كان عند مالك نفسه من مسائل أبى حنيفة نحو ستين ألف مسألة كما نقله مسعود بن شيبه فى كتاب التعليم له عن الطحاوى إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التى ليس هذا موضع استقصائها وإنما طرقت هذا البحث عرضاً ليعلم من لا يعلم أن الأئمة المتبوعين مثل أسرة واحدة ترى مالكا يذاكر أباً حنيفة فى العلم فى المسجد النبوى وينتفع بكتبه ومصحده بن الحسن يسمع الموطأ من مالك ، والشافعى يسمع الموطأ على مالك وينتفع على محمد بن الحسن ، وأحمد ينتفع عند أبى يوسف والشافعى وينتفع بكتب محمد بن الحسن ، وبهذا قالوا بركة العلم . وأما ما يروى من كلام بعضهم فى بعض فأكاذيب لفقها أعداء الدين ، وانخدع بها من انخدع من بسطاء أتباعهم راجع كلام الباجى فى شرحه على حديث الداء العضال من المنتقى شرح الموطأ (ج ٧ ص ٣٠٠) وأنت تعرف منزلة أبى الوليد الباجى هذا فى الحديث والفقه وأصول الدين وعظم شأنه فى مذهب مالك .

وأسد هذا هو ناشر مذهب أبى حنيفة ومالك بأفريقية ثم اقتصر على نشر مذهب أبى حنيفة فانتشر فى ديار المغرب لحد الأندلس حتى أصبح الأكثرون فى أفريقية على هذا المذهب الى عهد ابن باديس وترجم

ومسعود بن شيبه وكتاب الجامع ذكره العباس بن مصعب فى تاريخ مرو وكتاب السير والكتاب الأوسط والفقه الأكبر والفقه الأبسط وكتاب العالم والمتعلم وكتاب الرد على القدرية ورسائله إلى عثمان البتى فى الإرجاء وعدة وصايا كتبها لعدة من أصحابه وهذه الكتب مشهورة .

لأسد بن الفرات هذا ، القاضى عياض فى المدارك وابن فرحون فى طبقات المالكية وتوسع فى ترجمته صاحب معالم الايمان فى تاريخ القيروان جد التوسع ، وأسد هذا هو فاتح صقلية وناسر الاسلام بها وبها توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين ولهذه الصلة الأكيدة بين المذهبين ترى أهل الغرب يعتبرونهما بحرین وما سواهما ساقية يستغنى عنها مع إخاء صادق بين الفريقين المتذهبين بالمذهبين كما شرح ذلك صاحب أحسن التقاسيم عند ذكره للقيروان وكذلك ترى بعض كبار الفقهاء من المالكية يقول : إذا لم تكن فى مسألة رواية عن مالك يؤخذ بقول أبى حنيفة فيها ، بل حصر بعضهم الخلاف بينهما فى اثنتين وثلاثين مسألة • راجع قمع أهل الزيغ والالحاد عن الطعن فى تقليد أئمة الاجتهاد للشيخ محمد الخضر الشنقيطى المالكى (ص ٦٦ - ٦٧) • ولعلى لم أخرج عن الموضوع فيما أفضت فيه هنا •

رحلة الشافعى إلى محمد بن الحسن وتفقهه عنده

كان محمد بن الدريس الشافعى رضى الله عنه تفقه على مسلم بن خالد الزنجى بمكة ثم رحل إلى المدينة وهو ابن نحو أربع عشرة سنة فعرض الموطأ على مالك وسمع من إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى الاسلمى منافس مالك بالمدينة ثم رجع إلى مكة وسمع من ابن عيينة ثم ارتحل إلى اليمن للعمل عند بعض الولاة لصيق ذات يده فبقى باليمن يتقلب فى الأعمال غير منصرف إلى العلم إلى أن ألقى القبض عليه بتهمة الانحياز للعلويين هناك ضد العباسية وحمل إلى العراق سنة أربع وثمانين ومائة ولما برئت ساحته من التهمة ألهم التفقه عند محمد بن الحسن حتى اتصل به والازمه ملازمة كلية واستنسخ مصنفاته بصرف نحو ستين ديناراً وانصرف الى التفقه عنده انصرافاً تاماً إلى أن سمع منه حمل بختى من الكتب ليس عليها إلا سماعه وأخذ يعتلى شأنه وأصبحت هذه المحنة منحة كبرى فى حقه لكونها مبدأ اعتلاء قدره •

ومما كتبه إليه في أول قدومه يستبطن إعارة كتاب كان طلبه من
محمد بن الحسن :

قل للذي لم ترعي من رآه مثله
حتى كأن من رآ ه قدرأى من قبله
العلم ينهى أهله أن يمنعه أهله
لعله يبذله لأهله لعله

فوجه به إليه في الحال هدية لا عارية كما نقله ابن الجوزي بهذا
اللفظ في المنتظم عن الطحاوي وروى ابن عبد البر هذه الحكاية مع
أبيات الشافعي هذه بسنده إليه في جامع بيان العلم . ولفظ الصيمري ،
حدثنا أبو إسحق النيسابوري المعروف بالبيع قال حدثنا محمد بن يعقوب
الاصم قال حدثنا الربيع بن سليمان قال كتب الشافعي إلى محمد بن
الحسن وقد طلب منه كتبه لينسخها فأخراها عنه فكتب إليه - تلك الأبيات
- قال فأفخذ الكتب إليه من وقته اه . وذكر أبو إسحق الشيرازي
أيضاً هذه القصة مع تلك الأبيات في طبقات الفقهاء من غير سند ،
ومن المعلوم أن الشافعي رأى مالكا ووكيع بن الجراح وابن عيينة وقد
اعترف في تلك الأبيات أنه لم ير مثل محمد بن الحسن وعده يمثل علم
أبي حنيفة الذي لم يدركه الشافعي ولم يكن من الشعراء الذين يتزلفون
بكل وسيلة فمثل هذا الكلام لن يصدر عن مثله إلا وقلبه يواطىء لسانه .

وقد ذكر الذهبي في تاريخه الكبير : قال أبو علي الصواف حدثني
أحمد بن الحسن الحماني سمعت أبا عبيد يقول رأيت الشافعي عند محمد
ابن الحسن وقد دفع إليه خمسين ديناراً وكان قد دفع إليه قبل ذلك
خمسين درهماً وقال إن انتهيت العلم فالزم قال أبو عبيد فسمعت الشافعي
يقول كتبت عن محمد بن الحسن وقر بعير ولما أعطاه محمد قال لا تحتشم

قال لو كنت أقت عندى ممن أحتشمه ما قبلت برك • تفرد به الحماني وهو مجهول لكن قول الشافعي حملت عن محمد وقر بختى صحيح رواه ابن أبي حاتم ما تم قال حدثنا الربيع قال سمعت الشافعي يقول حملت عن محمد بن الحسن حمل بختى ليس عليه إلا سماعي قال أبو حاتم ثنا أحمد بن أبي سريج الرازي سمعت الشافعي يقول أنفقت على كتب محمد بن الحسن ستين ديناراً ثم تدبرتها فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثاً انتهى ما قاله الذهبي • ومثله فيما لخصه ابن قاضي شعبة من تاريخ الذهبي بخطه أقول كان محمد بن الحسن يخفى بره لتلاميذه ولا يتسرب أمره إلى الرواة إلا من الذين كان ينفق هو عليهم وفي الرواية من هذه الجهة شيء وإن كان كثير البير خصوصاً في حق الشافعي كما روى عن الشافعي نفسه بطرق فيبعد أن يعطيه شيئاً والناس يشاهدون ذلك •

ومهم جداً أن يكون الشافعي حمل من محمد حمل جميل كتباً ليس عليها إلا سماعه لأن ما سمعه عليه ومعه العراقيون في مجلسه العام يكون عليه سماعه وسماع الآخرين • وأما الذي ليس عليه إلا سماعه فهو الذي سمعه هو خاصة في مجالس خاصة كما فعل محمد بن الحسن مثل ذلك مع أسد بن الفرات وأبي عبيد وغيرهما من أئمة عصره في عهد طلبهم للعلم وهذا الصبر العجيب من محمد مع تلاميذه لا يشاركه أحد من الأئمة سوى أبي حنيفة فيما نعلم كما سبق •

وروى ابن أبي حاتم عن محمد بن إدريس وراق الحميدي عن الحميدي عن الشافعي أنه قال في صدد بيان ملازمته لمحمد بن الحسن : (فلزمته وكتبت عنه وعرفت أقاويلهم وكان إذا قام ناظرت أصحابه فقال لي : بلغني أنك تناظر أصحابي فناظرني في الشاهد واليمين فاستنعت فألح على فتكلمت معه فرفع هو ذلك إلى الرشيد فأعجبه ووصلني اهـ) • وبهذا يظهر كيف كان محمد بن الحسن يدربه على المناظرة وكيف كان يلفت نظر إعجاب أمير المؤمنين إليه كما يظهر بذلك أيضاً مبلغ أدب الشافعي

مع محمد بن الحسن يأبى الكلام معه كمنظر على خلاف ما فى تلك المناظرات المختلفة التى لا تجرى بين الأستاذ وتلميذه الذى تلقى منه حمل بختى من العلم مع اعترافه بفضلته عليه بكل وسيلة وعرفانه لجمله فى كل لحظة .

وكم لمحمد بن الحسن من آياد بيضاء على الشافعى حتى قال الشافعى: أمن الناس على فى الفقه محمد بن الحسن . رواه الخطيب عن الحسن ابن محمد الخلال عن على بن عمرو الجريوى عن على بن محمد النخعى عن أحمد بن حماد بن سفيان عن المزنى عنه ، وذكر السمعاني عن البوريطى عن الشافعى أنه قال : أعاننى الله برجلين باين عينة فى الحديث وبمحمد فى الفقه . وعن الربيع عن الشافعى : ليس لأحد على منة فى العلم وأسباب الدنيا ما لمحمد على وكان يترحم عليه فى عامة أوقاته ، وعن ابن سباعة أن محمد بن الحسن جمع من أصحابه نحو مائة ألف درهم لأجل الشافعى مرة بعد أخرى وروى الذهبى فى جزئه عن ادريس بن يوسف القراطيسى أنه سمع الشافعى يقول : ما رأيت أعلم بكتاب الله من محمد كآفه عليه نزل . وكل ذلك مما يدل على أن الشافعى كان عظيم الاجلال لمحمد بن الحسن كبير الأدب فى معاملته معه .

وبعد الاحاطة بما ذكرنا يظهر أن المناظرات التى تروى بغير طريقة سؤال التلميذ من أستاذه فيما يستشكله ، مناظرات خيالية ملفقة مستولدة لا ترد إلا مجردة عن الأسانيد بالمرّة أو بأسانيد مركبة ، فمنها ما يرويه الخطيب عن ابن رزق عن أبى عمرو بن السماك عن التمار عن أحمد بن خالد الكرمانى عن المقدمى من المناظرة بين محمد والشافعى بمجلس الرشيد . فابن رزق بعد أن عمى وهرم لازمه الخطيب وأكثر من الرواية عنه ومثل هذا التحمل لا يخفى حاله وأبو عمرو بن السماك مغفور برواية الأخبار التالفة والكرمانى منجهول ولفظ المقدمى لفظ الاتقطاع وفى المتن ما تكذبه شواهد الحال وليس ذلك من الطراز الذى يجرى

بين الطالب وشيخه في مثل ذلك المجلس على أن رد الشافعي على مالك وأهل المدينة أقسى من رد محمد بن الحسن عليهم فكيف يعيره الشافعي بما هو أخف مما وقع فيه - فدونك كلام محمد بن الحسن في كتاب الحجج وكلام الشافعي في الأم وكلامه المنقول في مناقب الشافعي لابن حجر في ذلك ففارق بين الكلامين حتى تتيقن أيهما أقسى وأيهما أرعى لأدب العجاج - أم كيف يتصور أن يصدر من الشافعي مثل هذا التشغيب المحكي مع ظهور أن الرد موجه إلى مالك بحجة •

وكيف يعارض الشافعي محمد بن الحسن باعتبار أن قبول شهادة القابلة زيادة على الكتاب وأين في الكتاب ما يمنع قبول شهادة القابلة كما يقول أبو بكر الرازي حتى يذكر في هذا الموضع وإنما ذكر الله تعالى الشهادات في المداينات والوصية في السفر والرجعة أو المفارقة والزنا وأما الشهادة في الولادة فلا ذكر لها في القرآن ، وكذلك كيف يقول الشافعي إن عبد الله بن نجى مجهول وقد عرفه أهل الشأن ودونك كتب الرجال ، وجابر وإن تكلم فيه أبو حنيفة كما في علل الترمذي لكن وثقه الثوري وروى عنه شعبة مع تشدده فمحمد بن الحسن غير ملزم بقبول قول أبي حنيفة لأنه مجتهد مثله ومعه الثوري وغيره •

وحكاية السيف والنطع حكاية روائية لا حقيقة لها فلا محمد بن الحسن يقف هذا الموقف في مثل هذه المسألة المشروحة أدلتها في كتبه المؤلفة قبل اتصال الشافعي به ولا الشافعي يجهل ما أشرنا إليه فملحق هذه المناظرة أساء إلى الشافعي وهو يريد الاحسان إليه لكن هكذا تكون صداقة الجاهل • وقد جرينا في ذكر هذه المناظرة المزعومة على ما في الأصل فإن المطبوع فيه تخطيط بهذا الموضع ومثلها حكاية لوج مغصوب سمر على سفينة كما أشرنا إليه في موضع آخر •

وذكر ابن حجر في مناقب الشافعي بطريق الساجي عن يحيى بن اكرم انه قال : كنا عند محمد بن الحسن في المناظرة كثيراً فكان الشافعي رجلاً

قرشى العقل والفهم والذهن صافى العقل والفهم والدماع سريع الاصابة
ولو كان أمن فى الحديث لاستغنت به أمة محمد عن غيره من العلماء اهـ .
ومن المشهور بين الذين ترجعوا لابن اكثم انه ولى قضاء البصرة سنة
اثنين ومائتين وكاف سنة اذ ذاك نحو عشرين سنة حتى إن أهل البصرة
استصغروه فأجابهم بما أجاب فكيف يمكنه أن يحضر مجالس المناظرة
عند محمد سنة أربع ومائتين ومائة على أن ابن اكثم خراسانى المولد تأخر
قيدومه إلى العراق جداً . فأثار الاختلاق ظاهرة على هذه الرواية وإن
لم ينبه عليها ابن حجر والله اعلم .

وأما ما أخرجه الخطيب عن ابن رزق عن أبى عمرو بن السماك عن
التمار عن الربيع عن الشافعى انه قال : ما فاضت أحداً إلا تغير وجهه
ما خلا محمد بن الحسن . ففيه تحويل (ما سألت) الى (ما فاضت)
ليجمل الشافعى نظير شيخه يناظره . وفى هذه الرواية ابن رزق
وإبن السماك وهما معروفان . والرواية الصحيحة التى لا مغزى فيها حتى
عند الخطيب نفسه هى ما أخرجه الصيمرى حيث قال ثنا العباس بن أحمد
الهاشمى ثنا على بن عمرو الجربرى ثنا على بن محمد النعمى ثنا أحمد بن
حناد بن سفيان عن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعى يقول :
ما سألت أحداً عن مسألة إلا تبين لى تغير وجهه إلا محمد بن الحسن اهـ .
ومثله فى الالتقاء (ص ٦٩) حيث قال حدثنا خلف بن القاسم نا الحسن
ابن رشيق نا محمد بن يحيى الفارمى ايا الربيع بن سليمان سمعت الشافعى
يقول : وما رأيت أحداً سئل عن مسألة فيها نظر إلا رأيت الكراهة فى وجهه
إلا محمد بن الحسن اهـ . فسوق الخطيب لتلك الرواية المشوهة دون
هذه الرواية الصحيحة من دسائسه المكشوفة والفرق بينهما ظاهر .

وأما ما أخرجه الحاكم من أن الشافعى كلمه فى الاثثار فسنده ليس
بذاك وقبرىء الشافعى من أن يثبت عنه مثل ذلك وأبو الحسن التابى
تكلم فى ابن شعبان راجع السند فى تخريج أحاديث الراعى لابن حجر .

وأما ما أخرجه الخطيب في ترجمة الشافعي في (ج ٢ ص ٦١) عن أبي الطيب الطبري عن علي بن إبراهيم بن أحمد البيضاوي عن أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقي أنه قال سمعت الربيع بن سليمان يقول : ناظر الشافعي محمد بن الحسن بالرقعة فقطعه الشافعي مبلغ ذلك هرون الرشيد فقال هرون : أما علم محمد بن الحسن أنه إذا ناظر رجلاً من قريش يقطعه سائلاً ومجيباً ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : قدسوا قريشاً ولا تقدموها وتعلموها منها ولا تعلموها فإن علم العالم منهم يسع طباق الأرض اهـ . فحكاية مكذوبة في سندها ابن الجارود ويقول الخطيب نفسه عن هذا في (ج ٢ ص ٢٤٧) : إنه كذاب . وما أدرج في الحديث من قوله (وتعلموها منها ولا تعلموها) : دس محض يخالف عمل الصحابة والتابعين المتواتر عنهم وهو اختلاق من لا يعرف على من تنقنه الشافعي ؟ وقد عودنا الخطيب أن يسوق الأخبار الكاذبة من غير تنبيه على كذبها فيما إذا صادف ذلك هوى منه فلا نستغرب ذلك منه لكن القاضي أبا الطيب الطبري كنا نظن به أنه يأبى التورط فيما يتورط في مثله الخطيب وحاله كما ترى وكان في غنية عن الحكايات الكاذبة في تبين جلالة مقدار الشافعي بما له من الفضل الجسيم والأغرب من ذلك سوق ابن حجر في مياقب الشافعي (ص ٤٧) تلك الحكاية الكاذبة وهو يعلم أنها كاذبة نسأل الله السلامة . والبيهقي ممن لا يتورع عن رواية الأكاذيب إذا صادفت هوى منه فلا يكون عذراً لابن حجر أن يكون في سندها البيهقي وهو يعلم ذلك منه .

وأما ما رواه الخطيب أيضاً في ترجمة محمد بن الحسن في (ج ٢ ص ١٧٧) من أن الشافعي ناظر محمد بن الحسن وعليه ثياب رفاق فجعل تنتنخ أوداجه ويصيح حتى لم يبق له زر إلا اقطع اهـ . فمسته يغنى عن الكلام في رجال سنده أليس من المستحيل في جاري العادة انقطاع جميع أزرار الثياب برفع الصوت من لابسها وبالصياح منه ؟ بل هو شأن المنوادر إذا لطمن صدورهن ومزقن ثيابهن ، وهذا يدل على أن واضح

هذه الحكاية استعمل في الوضع ليرفع من شأن الشافعي فنطق
بما يكذبه كل سامع على أن من المروى عن الشافعي بطرق صحيحة كما
أسلفنا ذكر بعضها أنه لم ير من لا يتغير حينما يسأل عن مسألة فيها نظر
سوى الامام محمد بن الحسن ، فكيف يصح هذا منه مع ذلك وأين لفظ
ابن عبد البر في الاقتضاء (ص ٢٤) من هذا . حيث قال حدثنا خلف بن
قاسم قال نا الحسن بن رشيق قال نا محمد بن الربيع بن سفيان
ومحمد بن سفيان بن سعيد قال نا يونس بن عبد الأعلى قال قال لي
الشافعي : ذاكرت محمد بن الحسن يوماً فدار بيني وبينه كلام واختلاف
حتى جعلت أنظر الى أوداجه قلدر وتنقطع أزراره فكان فيما قلت له يومئذ
نشدتك بالله هل تعلم أن صاحبنا يعني مالكا كان كالمناجاة بكتاب الله قال
المهم نعم ! قلت وعالمنا باختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اللهم نعم ! اهـ ولا غبار على هذه الرواية لأن العالم كثيراً
ما يرفع صوته على تلميذه إذا رآه يتباطأ في فهم ما يلقيه عليه وكان من
هذا القبيل رفع الصوت في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في العلم
قال ابن أبي العوام الحافظ حدثني أحمد بن محمد بن سلامة قال حدثني
محمد بن العباس بن الربيع قال حدثني المصرفي (محمد بن عمرو بن
السري) قال قال هرون الرشيد لأبي يوسف : ما أحد من الناس أحب
مجالسته غيركم يا أهل الفقه لولا خفة فيكم فقلت له وما الخفة التي فيها ؟
قال رفقاً رأيت الرجل منكم يقبل على الصبي الذي سنه دون سن ولده
فيعلمو صوته [عليه] قال فأخبرت به في حديث آخر ثم أريته عنده من
الخسب فقلت له كم هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال كذا وأصاب فقلت
ما الدليل على ذلك فقال من يقول غير هذا ؟ قلت الذي يخالفك وكلمته
بكلام من هذا النحو فصلا صوته ودرت أوداجه فقلت له أصاب
أمير المؤمنين قد كان من صياحه ودفعه إياي ما كان ، عن الصواب الذي
تفهمه الصامة والخاصة فكيف ينكر على صياحي عند الصواب الذي
أخالف فيه ولا تفهمه الصامة ولا يفهمه إلا القليل من الخاصة قال فعذر

عند ذلك ا هـ فلعلم ما في الاتقاء من هذا القبيل وانظر الى كلام الخطيب كيف غير وبدل . فحكاية الخطيب مع مخالفتها للروايات الصحيحة واقتراحها بما يكذبها ، بين رجال سندها دعلج بن أحمد كان يدخل عليه الموضوعون مثل أبي الحسين الطار وعلي الرصافي ما شاءوا من الأكاذيب ، والأبواب مأجور للوقعة في أبي حنيفة وأصحابه والله ينتقم منه وكل ما يذكر فيه مناظرة الشافعي لمحمد بن الحسن من تلك الأخبار فملققة مخالفة لما صح من الروايات اختلقها الكذابون على ظن أنها تروج فافتضح واضعوا من غير أن يرفضوا بها من شأن أحد لأن الموضوع من شأنه الوضع دون الرفع .

وقد روى عن الشافعي بأسانيد صحيحة ثناء بالغ في حق محمد بن الحسن مدون في تاريخ الخطيب وكتاب ابن أبي العوام وكتاب الصيمري وتهذيب النووي ومؤلفات الذهبي وغيرها فضلا عما في كتاب الكردي فستغنى عن سرد تلك الروايات هنا لشهرتها . ومن الحقائق الملموسة أنه لا يعرف للشافعي عمل يذكر في الفقه قبل اتصاله بمحمد بن الحسن بل إنما رجع الى مكة بعد أن تفقه عليه وأخذ يقارن ما تلقاه منه بنقته أهل الحجاز حتى حصلت له اختيارات أدت به الى اظهار الاجتهاد بعد وفاة محمد بسنوات بأن عاد الى العراق سنة خمس وتسعين ومائة بعد وفاة محمد بن الحسن بست سنوات وبقي هناك سنتين ينشر اختياراته ومذهبه القديم على رواية القديم المعروفين ، بكتاب ألفه وسماه الحجة في مجلد ضخيم وهو الذي رد عليه عيسى بن أبان كما رد على جديده القاضى بكار بمصر . ولولا أن ضيق ذات يده حمله على التقلب في الأعمال منقطعا عن العلم لكانت مواهبه أثمرت قبل ذلك الحين .

وهناك رحلتان منسوبةتان للشافعي ككتاهما مكذوبة فاولاهما رواية عبد الله بن محمد البلوى الكذاب المشهور وقد قال ابن حجر في (توالي التأسيس بمعالى بن ادريس ص ٧١) : فقد أخرجها الآبري

والبيهقي وغيرهما مطولة ومختصرة وساقها الفخر الرازي في مناقب الشافعي يغير اسناد معتمدا عليها وهي مكذوبة وغالب ما فيها موضوع وبعضها ملفق من روايات ملفقة . وأوضح ما فيها من الكذب قوله فيها : إن أبا يوسف ومحمد بن الحسن حرضا الرشيد على قتل الشافعي وهذا باطل من وجهين أحدهما أن أبا يوسف لما دخل الشافعي بغداد كان مات ولم يجتمع به الشافعي ، والثاني أنهما كانا أتقى لله من أن يسعيا في قتل رجل مسلم . . وليس له اليهما ذنب . . وإن منصبهما وجلالتهما وما اشتهر من أمر دينهما لتصد عن ذلك والذي تحرر لنا بالطرق الصحيحة أن قدوم الشافعي بغداد أول ما قدم كان سنة أربع وثمانين ومائة وكان أبو يوسف قد مات قبل ذلك بستين وانه لقي محمد بن الحسن في تلك القدمة وكان يعرفه قبل ذلك من الحجاز وأخذ عنه ولازمه انتهى ما نقلناه من ابن حجر بحروفه . وقال ابن حجر أيضا في كتابه المذكر (ص ٧٠) بعد أن ساق ما أخرجه الساجي (أن محمد بن الحسن قال للرشيد لا يغلبك هذا بفصاحته ولسانه لأنه رجل لسن) : والذي نقل عن محمد بن الحسن في حق الشافعي ليس بثابت اهـ . بل الثابت منه كل عطف ومساعدة له كما سبق بل لم يرو عن الشافعي ثناء في حق أحد من الأئمة قدر ما روى عنه من الثناء على محمد بن الحسن عن جدارة منه بذلك الثناء وذلك أكبر تكذيب لاختلاق المختلقين .

وأما سعي المفترى الباهت في تمشية اختلاقه وبهناؤه بأفهاما كانا يحسدانه في العلم فمن أوقع فرى يفترها صفيق من حيث أن ذلك مما تكذبه شواهد الحال لأن الشافعي كان إذ ذاك في حال الطلب ولم يكن له عمل في الفقه قبل ذلك وإنما كان حضر عند بعض الشيوخ في الفقه حتى أن أحاديث الموطأ التي يقال إنه عرضها على مالك تجده يروى بعضها في كتبه بواسطة محمد وغيره عن مالك ولا تجد نسخة من رواية الشافعي للموطأ يتداولها أهل العلم على توالي القرون كنداولهم

النسخ من رواية الآخرين وهذا يدل على أنه وإن كان عرض الموطأ على مالك في مبدأ أمره لكنه لم يضبط أحاديثه ولم يستمر على مدارستها ، وكذلك لم تكن رحلته إلى اليمن لأجل العلم بل لطلب الرزق فعلى أى شيء يحسده أئمة العلم وهو فى مثل هذه الحالة ثم كيف يلزم الشافعى - وهو العالم المحسود فى علمه على زعمه - حاسده ويتلقى منه العلم ؟ وكيف يروى العلم فى كتبه عن هذا الحاسد وذلك الحاسد لو تغاضينا عن ملاحظة سيرتهما فى العلم والدين وفرضنا - كما يفرض المحال - أنهما قد يحسدان . على أن محمد بن الحسين يعترف له الصديق والعدو بأنه كان من أجبر أهل العلم صوتاً فى دفع ظلم الظالمين ولو لم يكن له موقف غير موقفه فى تصحيح أمان ذلك الطالبى فى مجلس الرشيد يوم خربت السن من حصره من أهل العلم عن بيان الحق لكفاه دليلاً على منزلته فى القيام بالحق والحيلولة دون الظلم ، وقد علم الخاص والعام من رواية الثقات الأثبات مبلغ تعب محمد بن الحسين فى سبيل تعليم الشافعى والاتفاق عليه ، وماله من بد بضاء نسوه وأنه ليس أحد آمن عليه فى الفقه من محمد بن الحسين .

أفلا يكون بعد ذلك كله من أكثر النكران وأسوأ القرى إختلاق إساءة بدل احسان المحسن ذلك الاحسان فلا شك أن تضليل ذلك فى الكتب يحتاج إلى صفاقة بالغة وقلة فى الدين وأن ناقلاً ذلك من غير تفنيده شريك للمختلق فى الاثم ، وكنا نعلم مبلغ تعصب البيهقى وتمشيه مع الهوى فى كتابه (معرفة السنن) حيث يتكلم فى الطحاوى بما هو صفة نفسه ولم يسبق أن تكلم أحد من أهل العلم فيه سوى البيهقى وهو الذى يقوى الضعيف لأجل مذهبه ويضعف القوى لأجل مذهبه بل تراه يضعف رجلاً لأجل المذهب ثم يقوى ذلك الرجل بعينه لأجل المذهب وبينهما أقل من ورقتين وقد كشف الستار عن وجه البيهقى (الجواهر النقى) ونهنا على تليسه الحافظ عبد القادر القرشى وكنا نعلم ذلك كله فى البيهقى لكن ما كنا نظن به أن يسمح دينه أن يخذل هذه

الفترة المكشوفة والرحلة المكذوبة في مناقب الشافعى مع علمه بحال البلوى ويكون تلك الرحلة مكذوبة تتضمن فضائح تخالف التاريخ الصحيح لكن ظهر بذلك جلياً أن سقوط البيهقى أبعد غوراً مما كنا نتصوره. بكثير فثباً لهذا الضمير الميت وثباً لهذا التعصب المرذول فكم أوقع عمل البيهقى هذا أمثال ابن الجوينى ، وأبى حامد الطوسى والفخر الرازى ممن لا شأن لهم فى تمحيص الروايات ، فى مهازل فى مبدأ أمرهم اغتراراً بتخريج البيهقى لتلك الرحلة المفضوحة ، خلا ما نتج من مثل ذلك منذ عهد القفال المروزى من تعصب بارد إما لهذا الامام أو لذلك الامام بحيث يؤلم المتعصب له والمتعصب عليه مع أن تلك الأخبار ما هى إلا أقاصيص ملفقة لم تقع إلا فى مخيلة رواتها وكانت الشافعية من أعرف أهل العلم لجسيل علماء العراق عليهم إلى أن دب ديب الفتنة بينهم باثارة أبى حامد الاسفراينى لفتنة المزاحمة على القضاء بالكيفية المشروحة فى خطط القرزى الشافعى فقام المحدث منهم بتدوين الأخبار المكذوبة بدون تورع والفتنة بتصوير عبادة مشوهة حتى استنفذت الفتنة بحيث وهت منها أركان الدولة فى القرنين الخامس والسادس إلى أن انهدت فى أواسط السابع وتقع تبعة هذه الكوارث على أعناق مشيرى تلك الفتن بالكاذب ملفقة ، لا قالوا من ورائها دنيا ولا بقى لهم دين خالص ، ومن صرح قبل ابن حجر بكذب الرحلة المذكورة التقى ابن تيمية فى منهاجه وقبله مسعود بن شيبه فى كتاب التعميم وأمر البلوى مكشوف من قديم . والله سبحانه هو الهادى إلى سواء السبيل .

ولما الرحلة الثانية فى رواية البطين عن ابن المنذر وكافت طبعت فى الهند مع مسند الشافعى عن نسخة سقيمة جدا ثم أعيد طبعها بمصر بتصرف فى عبارتها على أمل إزالة السقم . وتوجد فى المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية نسخة غير سقيمة من هذه الرحلة مغنية عن التصرف مخطوطة فى القرن السابع وسعى بعضهم فى إفراغها بقلب قصة روائية فانتشرت بين الجمهور .

وهذه الرحلة كأختها مكدوبة وهما في الاختلاق توأمان وقد نسبت هذه الرحلة في الطبعة الهندية التي هي أم الطبعة المصرية الى السيوطي من غير وجه كما نسبت في بعض المخطوطات الى الشمراني بدون سبب وزادت الطبعة المصرية انها بقلم الشافعي نفسه واشتركت الطبعتان في أنهما تعتبرانها رواية الربيع الجيزي عن الشافعي ، وقد كذب العقيلي ابن المنذر في دعوى ادراكه الربيع المرادي المتوفى سنة سبعين ومأتين فكيف يتصور أن يدرك الجيزي المتوفى سنة ست وخمسين ومأتين والحق انه لا شأن للشافعي ولا للربيع ولا لابن المنذر في انشاء هذه الرحلة ولا في روايتها ، وانما اختلقها من اختلق ، بعد ابن المنذر وركب لها سنداً ولم يتعرض فيها لمحنة الشافعي أصلاً . فالبطين والكواز مجهولان والله أعلم بحال من بعدهما إلى الفارسي ، وفي المتن ما يغنيك عن تطلب رجال السند والكشف عن أحوالهم .

فمن الأكاذيب الصريحة فيها سماع عبد الله ^(١) بن عبد الحكم وأشهب وابن القاسم بل الليث بن سعد ، الموطأ على مالك سنة أربع وستين ومائة بقراءة الشافعي وزمن لقي هؤلاء بمالك معروف عند أهل العلم وابن التاسم لازم مالكا الى وفاته من سنة تسع وخمسين ومائة قبل رحلة الشافعي بسنوات ولم يلقى الشافعي الليث أصلاً طويلاً عمره وقد صح عنه أسفه العظيم على ذلك وما يعزى الى الربيع أنه قال (أحسبه) عند ذكر الليث من طرائق تلبيس الكذابين والربيع من أعلم الناس بأن الشافعي لم يلق الليث .

وادعاء رحلة الشافعي الى العراق سنة أربع وستين ومائة بعيد سماعه الموطأ على مالك أمر خيالي بحث مخالف للتاريخ الصحيح المدون في كتب النقد ولما نقلناه آنفاً من ابن حجر من أن دخول الشافعي

(١) كان ابن تسع في تلك السنة لم يغادر مصر بعد وأشهب رحلته الى مالك قبل ذلك التاريخ .

العراق أول مرة كان سنة ١٨٤ بعد وفاة أبي يوسف بسنتين فتكون تلك
الزاعم من ملاقاته لأبي يوسف ومحمد بن الحسن ومشاهدته دنيا طائلة
عندهما ومباحثته معهما وحفظه كتاب الأوسط لأبي حنيفة من خزانة
محمد بن الحسن خلصة في ليلة واحدة من غير أن يعلم محمد بن الحسن
بذلك وتعليقه لمحمد في نقله عن كتاب الأوسط وضمن محمد بكتبه بعد
ذلك إلى آخر ما ذكر هناك كلها أكاذيب تنهار بالهيار الكذب الذي بنيت
هي عليه ، ثم تنقله في بلاد الفرس كذب صريح أيضاً ولم يذكر أحد
ممن عني بتواريخ البلدان في كتبهم حلول الشافعي بأحمد تلك البلاد
فإن ذكر الشافعي في تاريخ نيسابور أو الري أو قزوین أو تبرستان أو مرو
أو اصفهان وتلك التواريخ كلها بمتناول أيدي الناس . وكذلك عودته
إلى بغداد في أول خلافة الرشيد سنة إحدى وسبعين ومائة وتأليفه
كتاب الزعفراني وهو القديم (يعني كتاب الحجّة) بين عشية وضحاها
في ذلك الوقت كذب مضاعف لأن سن الزعفراني حينما قرأ القديم على
الشافعي سنة خمس وتسعين ومائة لأول مرة كانت نحو خمس عشرة
سنة فقط لم يبد عليه بعد نبات شاربه مع أنه يسرع إلى التبطلين فلم
يكن الزعفراني بعد مولوداً في تاريخ سنة إحدى وسبعين ومائة فضلاً
عن أن يؤلف الشافعي الكتاب باسمه في ذلك التاريخ كما لا يخفى
ثم رجّله في التاريخ نفسه من بغداد بطريق حران وإهداء أحد تزميده
هنيئاً لآل مؤلفه من الدقائق إليه . وتوزيع الشافعي لتلك الدقائق
العظيمة المقدار على أهل العلم من المحدثين الذين استقبلوه كالأوزاعي
وابن عيينة وأحمد بن حنبل مع أن الأوزاعي كان مات سنة سبع وخمسين
ومائة والشافعي ابن سبع ، وابن عيينة لم يفارق الحجاز منذ انتقل إلى
مكة من الكوفة بعد وفاة أبي حنيفة وكان أحمد بن حنبل صبياً ابن سبع
سنين لا يرحل مثله في ذلك التاريخ ، ثم لقاءه مالك بن انس وهو في
غاية من الغنى ، وفي باج من الجوارى ما يزيد على ثلاثمائة جارية لا يتم
طوافه عليهن إلا في سنة كاملة وعنده من الأموال ما لا يوجد إلا عند الملوك

وإهداء مالك إلى الشافعي جميع تلك الأموال ثم انقلاب الشافعي إلى أهله بمكة بتلك الهدايا الضخمة وتوزيعه لتلك الأموال كلها على أهل مكة ولقاؤه لأهل بيته وهو لا يمتلك شروى فقير ثم بلوغ هذا الخبر لمالك وانتهاجه من هذا الايثار العظيم ، وجعل مالك له وظيفاً مرتباً سنوياً ضخماً تقاضاه الشافعي من مالك إحدى عشرة سنة (ووضح الرحلة بارع في الحساب أيضاً فيجعل عدد الستين فيما بين ذلك التاريخ أعني سنة ١٧١ وتاريخ وفاة مالك أعني سنة ١٧٩ إحدى عشرة سنة) ، ثم ضيق ذات يده بموت مالك وانتقاله إلى مصر ، وقيام عبد الله بن عبد الحكم مقام مالك في كفايته إلى أن مات .

كل ذلك أكاذيب في أكاذيب يعجز عن تليقها امام حمص المذكور في شرح الشريشي على المقامات وإن كان لعبد الله بن عبد الحكم يد بيضاء على الشافعي حينما حل بمصر في حدود سنة مائتين لا سنة تسع وسبعين ومائة بعد وفاة مالك رضى الله عنه فتاريخ موت مالك وتاريخ انتقال الشافعي إلى مصر وحال مالك في الزهد والتقشف كل ذلك من الأمور المعلومه عند العام والخاص ولعل هذا التقدر من البيان يكفي لتبيين ما في الرحلة الثانية من الهذيان .

ولا بأس في الإشارة هنا إلى ما يتحاكوه من حديث كاذب جرى بين محمد بن الحسن والشافعي في المفاضلة بين أبي حنيفة ومالك وقد رواه ابن عبد البر في الاتقاء على لفظين من طريقين ، ورواه أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء على لفظ آخر وأبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام على لفظ رابع وابن الجوزي في مناقب أحمد على لفظ خامس ومع كل هذه الاضطرابات في رواية حادثة واحدة زاد الخطيب في الطين بلة وساق الخبر بلفظ أقطع من ألقاظهم في تاريخه مع أنه يزعم أنه رواية يونس بن عبد الأعلى فإذا قارنت قول الخطيب (٢ - ١٧٧) مع رواية ابن عبد البر وقد سبقت في (ص ٢٧) وكلاهما من طريق

يونس بن عبد الأعلى تجد تصرف الخطيب الشافعي وتغييره لنص الرواية
ماثلين أمامك غير قابلين للستور وإن زاد في آخر الرواية لفظ (أو ما هذا
معناه) ليتسنى له التملص من تبعة تغيير النص فإذا اتجه إليه أحدهم
وظهر للناس أن لفظ الخطيب يخالف لفظ ابن عبد البر في الرواية عن
يونس بن عبد الأعلى قال الخطيب لا لوم على في هذا التحريف لأنني
نقلت الحكاية بالمعنى فربما أكون غلطت في بعض ألفاظها أما رأيت قولي
في آخر الحكاية (أو ما هذا معناه) ؟ • هكذا أمانة الخطيب في نقل
النصوص نسأل الله السلامة •

ولا يخفى أن محمد بن الحسن أفنى عمره في فقه أبي حنيفة وسمع
الحديث من مالك ولازمه ثلاث سنين في حين أن الشافعي إنما لازم مالك
ابن أسن ثمانية أشهر فقط على ما يقال فليس من المعقول أن ينال
محمد بن الحسن من أبي حنيفة ومالك نبلا لا يتفق مع مالهما من المنزلة
عنده في كنبه المتواترة عنه • ورواية أبي عاصم محمد بن أحمد العامري
في المبسوط تنافي تلك الروايات كلها كما نقله مسعود بن شيبة في
كتاب التعليم ، وما هو نص رواية العامري : (أن الشافعي سأل محمداً
أيما أعلم مالك أو أبو حنيفة ؟ • فقال محمد : بماذا ؟ • قال بكتاب الله !
قال : أبو حنيفة • فقال من أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ •
فقال : أبو حنيفة ، أعلم بالمعاني ومالك أهدى للألفاظ فقال : من أعلم
بأقوال الصحابة ؟ • فأمر محمد باحضار كتاب اختلاف الصحابة الذي
صنفه أبو حنيفة) إلى آخر ما ذكره العامري وهذا هو الموافق لما كان
عليه محمد بن الحسن من اجلال أبي حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى
والله تعالى أعلم •

أخذ محمد بن الحسن الفقه والحديث عن أبي يوسف

وما حدث بعد ذلك من الجفاء بينهما

كان محمد بن الحسن بعد أن مات أبو حنيفة لازم مجلس أبي يوسف
يأخذ عنه الفقه والحديث حتى تم له ما أراد من التفقه في دين الله ثم قام

محمد بن الحسن بنشر علمهما جهده وهو راوية فقه أبي حنيفة وأبي يوسف في المبسوط والجامع الصغير والسير الصغير وناشر مذهبه نفسه في باقى كتبه سواء ذكر أو لم يذكر أقوالهما وقد روى الطحاوى عن ابن عمران عن محمد بن عبد الرحمن الطبرى عن إسماعيل بن حماد أنه قال : كان محمد بن الحسن يبتكر إلى مجالس الحديث وبتكر نحن إلى أبي يوسف فيجىء محمد وقد مضت مسائل ونحن نتحدث فيعيد عليه أبو يوسف ما مضى فجاء يوماً ونحن نتحدث فسأله أبو يوسف عن مسألة مرت من المسائل فأجاب محمد فيها بخلاف ما مضى . فقال له أبو يوسف ليس هذا الجواب فتنازعا فيها فقال محمد ليس هذا قوله . إلى أن دعى بالكتاب فاذا الجواب كما قال محمد بن الحسن فقال أبو يوسف هكذا يكون الحفظ اهـ . وروى عن بعض أجلة أصحاب أبي يوسف أنه سأل أبا يوسف عن مسألة فأجاب ثم سأل محمداً فضالعه واحتج بدلائل . ثم قال له : إن أبا يوسف يخالفك فهل لك أن تجتمع معه فاجتمعا فى المسجد فتناظرا قال السائل ففهمت إلى قليل ثم دق الكلام فلم أفهم .

وقال الخطيب أنبأنا أحمد بن محمد بن عبد الله الكاتب قال أنبأنا محمد بن حميد المخرمى قال أنبأنا على بن الحسين بن حبان قال وجدت فى كتاب أبي بخط يده قال أبو زكريا يعنى يحيى بن معين سمعت محمد بن الحسن صاحب رأى وقيل له سمعت هذه الكتب من أبي يوسف . قال : لا والله ما سمعتها منه ولكنى من أعلم الناس بها وما سمعت من أبي يوسف إلا الجامع الصغير اهـ .

وقال ابن أبي العوام حدثنى محمد بن أحمد بن حماد قال حدثنى أحمد بن القاسم البرتبى أبو الحسن قال سمعت محمد بن شجاع يقول سمعت الحسن بن زياد يقول من زعم أنه سمع هذه الكتب يعنى العتق من أبي يوسف بالكوفة فقد كذب إنما كانت روضاً مجات ينظر فيها بالليل

وينبسط فيها بالنهار قال محمد بن شجاع ولكنها قد قرئت على أبي يوسف ببغداد وسمعتها أصحابنا قال محمد ابن شجاع سمعت إسماعيل بن الفضل وأبا علي الرازي وجماعة من أصحابنا يذكرون أن أبا يوسف سئل أسمع محمد بن الحسن منك هذه الكتب ؟ فقال أبو يوسف : سلوه • فأتينا محمداً فسألناه فقال ما سمعتها ولكن أصحابها لكم اه •

وروى الطحاوي عن ابن أبي عمير عن الطبري أنه سمع معلى بن منصور يقول : لقيني أبو يوسف بهيئة القضاء فقال لي يامعلى من تلزم اليوم ؟ • قلت ألزم محمد بن الحسن • فقال : الزمه فانه أعلم الناس • قال ثم لقيني بعد ذلك فقال لي : يامعلى من تلزم اليوم ؟ • قلت : محمد بن الحسن • قال : الزمه فانه من أعلم الناس • فحظه من المرتبة الأولى إلى الثانية اه • ولعل ذلك بسبب ما حدث بينهما من الجفاء لأجل القضاء وذلك ما رواه ابن أبي العوام عن الطحاوي عن أبي خازم عن بكر بن محمد العمى عن محمد بن سماعة انه قال : إنما كان سبب مخالطة محمد بن الحسن السلطان أن أبا يوسف شوور في رجل يولى قضاء الرقة فقال ما أعرف لكم رجلا يصلح لها غير محمد بن الحسن وهو بالكوفة فان شئتم فأشخصوه قال فبعثوا إليه فأشخصوه فلما قدم جاء إلى أبي يوسف فقال ما السبب الذي أشخصت من أجله ؟ • فقال له : شاوروني في قاض للرقة فأشرت بك ، وأردت بذلك معنى أن الله عز وجل قد بث علمنا هذا بالكوفة والبصرة وجميع المشرق فأحببت أن تكون بهذه الناحية ليث الله عز وجل علمنا بك بها وبعدها من الشامات • فقال له محمد : سبحان الله أما كان لي في نفسي من المنزلة ما أخبر بالمعنى الذي من أجله أشخص قبل ذلك فقال له أبو يوسف : هم أشخصوك • ثم أمره أبو يوسف بالركوب فركبا جميعا حتى دخلا على يحيى بن خالد بن برمك فرفع يحيى أبا يوسف إلى جنبه وقعد محمد دونه فقال أبو يوسف ليحيى : هذا محمد فشأنكم به • فلم يزل يحيى

يخوف محمداً حتى ولي قضاء الرقة وكان ذلك سبب فساد الحال بين
أبي يوسف ومحمد هـ . وقد ذكر الذهبي ذلك أيضاً في جزئه ، وهذا
هو السبب الوحيد لما حدث بينهما من الجفاء لأن محمد بن الحسن
كان شديد الرغبة في الابتعاد عن الحكم بالانصراف إلى العلم والتعليم
على طريقة أبي حنيفة وقد حال دون ما يتوخاه ما فعله أبو يوسف في
حقه فتألم جداً حتى هجره إلى أن مات أبو يوسف رحمه الله وهو هاجر له
بل يقال إن محمداً لم يحضر الصلاة عليه كما جرى مثل ذلك بين عثمان
وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وبين الحسن وابن سيرين وغيرهم
لكن الراجح عندى أن سبب عدم حضور محمد في جنازته ببغداد كونه
بالرقة وهو قاض بها لأن عزل محمد بن الحسن من قضاء الرقة بعد وفاة
أبي يوسف في عهد قضاء أبي البختري كما سيأتى فكيف يمكنه الحضور
في الجنازة مع إقامته بالرقة .

قال السرخسي في شرح السير الكبير : لم يذكر محمد في شيء من
كتاب السير الكبير اسم أبي يوسف لأنه صنفه بعد استحكام النفرة بينهما
وكلما احتاج إلى رواية حديث عنه قال أخبرني الثقة وهو مراده حيث
بذكر هذا اللفظ هـ . ثم ذكر السرخسي خرافة يتحاكما بعض الاخباريين
عن معلى وغيره بدون سند وهي أقصوصة التفاف أهل العلم حول
محمد بن الحسن وازدحام المتفقهة بمجلسه ببغداد بعد أن تولى
أبو يوسف القضاء ، وحسد أبي يوسف له وبلوغ صيت محمد إلى
الرشد ورغبة الرشد في مجالسته وتقريبه وتقدير أبي يوسف إبعاده
محمد من مجلس الرشد قبل أن يتصل به ويعلم مبلغ فضله بأن يقول
للرشد ان بمحمد سلس بول لا يستطيع معه اطالة الحديث بالمجلس
ويكلم محمداً بأن الرشد سريع الملل ويوصيه بالقيام عند ما يشير
أبو يوسف ثم سعيه في إبعاده عن بغداد حاضرة الخلافة بعد أن قابل
الرشد وأحبه . بأن يوليه قضاء مصر إلى آخر الرواية المصنوعة .
وما كان يحق السرخسي في فضله وبه أنه يملأ مثل هذه الإخلوة

من كوة محبسه على تلاميذه الذين يحضرون عند كوة المحبس لتلقى شرح السير الكبير منه بأذن من ولى الأمر ولا صحة لها مطلقا ولا يذكرها إلا بعض الاخباريين الذين يدعون الأقاصيص بدون سند لمجرد التسلية حتى لا يوجد شيء من هذا القبيل فى كتب الخصوم قبل زمن السرخسى وهم سراع إلى إذاعة مثلها ولو كانوا ظفروا بها لطاروا بها فرحا وأذاعوها فلا شك فى كذبها واختلافها .

هى الكذب من اى النواحي اتيتها !!

فمثل أبى يوسف فى جاهه العريض وعلمه الواسع ودينه المتين ووفرة التلاميذ ، وكثرة المؤلفات - وكتاب الأمالى له وحده فى نحو ثلاثمائة جزء كما يرويه أبو عاصم العامرى - كيف يحسد تلميذه فى كثرة جماعته بل يفتخر به ثم ان محمد بن الحسن كان بالكوفة إلى أن أشخصوه للقضاء كما سبق فكيف يرى أبو يوسف فى بغداد كثرة المترددين إلى مجلس محمد فيغيظه ذلك ويحسده ثم كيف يريد إبعاده عن حاضرة الخلافة وهو لم يكن بها بل بالكوفة ، ثم كيف يختلق عليه أبو يوسف مرضا لم يكن به فهل بلغ بأبى يوسف الحق إلى أن يعرض نفسه للاقتضاح باقتداب الرشيد طبيا يداوى مرض محمد ابن الحسن وعدد الأطباء ببابه كثير أفلم يذكر فى القصة أن الرشيد كان أحبه ، ثم هو لم يشخص لقضاء مصر بل لقضاء الرقة وهى عاصمة الصيف لخلفاء بنى العباس وفى ذلك غاية القرب إلى مجالس الخلفاء على أن عادة محمد فيما يرويه عن أبى يوسف بعد هذا التجافى أن يقول حدثنى الثقة يريد أبا يوسف فكيف يمكنه أن يصف أبا يوسف بالثقة على تقدير صدور تلك المخازى منه . وهكذا تكون الأكاذيب مصحوبة فى الغالب بما يظهر اختلافها ولعل عذر السرخسى فى سرده الأقصوصة على هذا الوجه انه كان فى المحبس بعيدا عن الكتب وإنما كان يملأ ما يمليه عن ظهر القلب وكانت تلك القصة علق بذهنه من قبل من

بعض كتب الأسفار ولم يتسع وقته لتحيصها فوقع في أجبولة تخليدها
فيما يسليه وكنا نعهد منه جبلا من جبال العلم لا يترجح في أبحاثه
الفقضية فعز علينا أن نراه يملأ مثل هذه الأخلوقة المكشوفة في كتابه
الخالد لكن أبى الله أن يصح إلا كتابه كما قال الشافعي للمؤلف حينما
عرض الرسالة عليه مرات وكان الشافعي يجد في كل مرة ما يصلحه
فيها فقال دعها فإن الله أبى أن يصح إلا كتابه أو ما هذا معناه •

زهد محمد بن الحسن في الحكم وبعده عن المباحنة لأرباب الحكم وصراحته في بيان الحق

وقد علمت أن لأبي يوسف حق الأستاذية عليه ومع ذلك همجوه
طول حياته بسبب حمله على قبول قضاء الرقة رغبة من أبى يوسف في
نشر علم محمد في الرقة وما والاها من الشسامات وهى رغبة محمودة
منه لكن محمد بن الحسن استاء من ذلك غاية الاستياء حيث كان يعتبره
صارفا عن العلم مع مخالفة قبول القضاء لخطأ أبى جنيقة حتى يروى
أن أبا يوسف لما قبل القضاء في أواخر عهد المهدي كان محمد غيره
بذلك فدعا عليه أبو يوسف قائلاً : لا قبض الله روحه قبل أن يتلى
بالقضاء • فابتلى بقضاء القضاة قبل وفاته بمدة بعد أن عزل من
قضاء الرقة ومنع من الافتاء مدة طويلة بسبب جوابه الصريح في مسألة
أمان الطالبى المذكورة في تاريخ ابن جرير وكتاب ابن أبى العوام وكتاب
الصيمرى بأسانيدهم من طرق عديدة بالفاظ متقاربة في المعنى • قال
أبو عبد الله الصيمرى أخبرنا عمر بن إبراهيم المقرئ قال حدثنا القاضي
أبو بكر مكرم قال حدثنا أحمد بن عبيد الله الثقفى قال حدثنا أبو خازم
عبد الحميد بن عبد العزيز قال حدثنى بكر بن محمد العمى قال حدثنى
محمد بن سماعة قال سمعت محمد بن الحسن يقول لما ورد الرشيد
الرقة أحضرت فدخلت إليه أنا والحسن بن زياد وأبو البخترى وهب بن
وهب (وهو قاضى القضاة بعد وفاة أبى يوسف) فأخرج إلينا الأمان

الذى كتب ليحيى بن عبد الله بن الحسن (بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام) فلدغ إلى فقراته ... فأثرت أمر الله والدار الآخرة فقلت بهذا أمان مؤكدا لا حيلة فى نقضه (وفى لفظ الطحاوى رواية ابن أبي المعوام ، فجعل ذلك الطالبى على نطح وعلى رأسه رجل فى يده سيف والطالبى يناشده وقد كان هرون أمانه) فانتزع الصك من يده ودفع إلى الحسن بن زياد فقراه وقال بكلمة ضعيفة لا أدرى أنها سمعت أو لم تسمع : هذا أمان فانتزع من يده ودفع إلى أبي البختري فقراه ثم قال : ما أرجئه ولا أرضاه هذا رجل سوء قد شق العصا وسفك دماء المسلمين وفعل وفعل فلا أمان له . ثم ضرب بيده إلى خفه وأنا أراه فلم يخرج سكيناً فشق الكتاب نصفين ثم دفعه إلى الخادم ثم التفت إلى الرشيد فقال : أقتله ودمه فى عنقي . قال فقننا من المجلس وأتاني رسول الرشيد يبلغنى أن لا أفتى أحداً ولا أحكم (وفى رواية أخرى وجعل للناس عبد الرحمن الهروى يفتيهم) فلم أزل على ذلك إلى أن أرادت أم جعفر أن تقف وقفا فوجهت إلى فى ذلك فعرفتني أنى قد نهيت عن الفتيا فكلمت هى الرشيد فأذن لى . قال محمد بن الحسن : فكنت أنا وكل من فى الدار - يعنى دار الرشيد - تتعجب من أبي البختري وهو حاكم وفتياه بما أفتى به وتقلده دم رجل من المسلمين ثم من حملة فى خفه سكيناً . قال : ولم يقتل الرشيد يحيى فى ذلك الوقت وإنما مات فى الحبس بعد مدة . (وفى رواية أخرى أنه قتل فى ذلك المجلس) قال محمد بن سماعة فى حديثه : ثم قرب الرشيد محمد بن الحسن بعد ذلك وتقدم عنده وولاه قضاء القضاة وجمله معه إلى الرى فتوفى هو والكسائى بها فى يوم واحد (وقيل مات الكسائى بعد محمد بيومين) فقال الرشيد : دفنت الفقه والنحو بالرى . وقال بكر العمى فى حديثه : إن محمد بن الحسن لما أفتى بصحة الأمان وأفتى أبو البختري بنقضه وأطلق له دمه قال له يحيى (بن عبد الله الطالبى) يا أمير المؤمنين يفتيك محمد بن الحسن وموضعه فى الفقه موضعه ،

بصحة أمانى ويفتيك هذا بنقضه ، وما لهذا وللشيا ؟ . وإنما كان أبوه
 طبالا بالمدينة أ هـ . وقال الصيرى أيضاً : أخبرنا أبو بكر الدامغانى
 عن أبى جعفر الطحاوى قال حدثنا أبو عبد الله أحمد بن سهل الرازى
 بحديث يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عن موسى بن عبد الله
 ابن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عن عبد الله بن
 عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق أنه قال : أنا حاضر
 هذا كله من هرون ومحمد بن الحسن وزاد فيه فلما خرج محمد
 جعل يبكى حتى كثر بكاءؤه فقلت له : يا أبا عبد الله أتبكى هذا البكا من
 أجل هذه الشجة - وذلك أن الرشيد كان رماه بدواة فشجه
 (حينما أفتاه على خلاف هواه فى المجلس) وسالت الندماء على وجهه
 وثيابه وقال له : إنما يقوى عزم هذا وأمثاله فى الخروج علينا أمت
 وأمثالك - فقال : لا والله ما من أجلها أبكى ، ولكنى أبكى لتقصيرى .
 قلت : وأى تقصير كان منك ؟ وقد قمت مقاماً ليس لأحد على وجه
 الأرض أشرف منه . قال : كان ينبغى لما قال أبو البختري ما قال أن
 أقول له : من أين قلت ذلك ؟ حتى أقيم عليه الحجة بفساد ما قاله أ هـ .

وأسند ابن أبى العوام عن محمد بن سماعة أنه قال : وأمر هرون
 أن تفتش كتب محمد بن الحسن خوفاً من أن يكون فيها شيء مما يحضى
 الطالبين على الخروج فقال لى محمد يا أبا عبد الله (يعنى ابن سماعة)
 وكان معه فى تلك المحنة) الله الله فى أمرى أحب أن تسبق إلى منزلى
 فتحفظ كتبى لئلا يلقى فيها ما ليس منها ففعلت ولما فتشت كتبه لم
 يوجد فيها شيء إلا مجموعة فيها فضائل على عليه السلام فأتى بها إلى
 هرون الرشيد فقال (يعنى الرشيد) : عندنا أكثر من هذا . قال
 الطحاوى سمعت بكار بن قتيبة يحدث بهذا الحديث عن هلال بن يحيى
 عن محمد بن الحسن ويزيد فيه أن هارون التفت إلى محمد بن الحسن
 فقال هذا أمان لم أكتبه إنما أمرت من يكتبه فما تقول فى رجل حلف
 أن لا يكتب كتاباً فأمر غيره فكتبه ؟ . فقال محمد : ان كان هذا الحال

من العامة لم يحث حتى يتولى ذلك بنفسه وإن كان سلطانا حث لأن كتاب السلطان هو ما كتب بأمره . قال : فبذلك اشتد غيظ هرون عليه وفعل به ما فعل . وقال الطحاوي أيضا : قال أبو خازم في حديثه قال بكر قال ابن سساعة فلما أمر هرون بقتل الطالبى قال له : يا هرون يقول لك محمد بن الحسن والحسن بن زياد وهما فقيها الدنيا هذا أمان صحيح فلا تقبل منهما ويقول لك هذا الكذاب الذى هو أمان فاسد فتقبل منه وتأمر بقتلى أ ه . يشير بذلك إلى أن أبا البختری وهب بن وهب القاضى كان مغبوزاً فى نسبه والله أعلم .

وروى ابن أبى العوام عن الطحاوي عن أبى خازم عن بكر بن محمد العسى عن محمد بن سساعة أنه قال : كنا مع محمد بن الحسن فى دار هرون الرشيد (يعنى بعد أن عزل محمد من قضاء الرقة وأصلح ما بينه وبين الرشيد بسعى أم جعفر) فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا هرون أمير المؤمنين فقام الناس إليه جميعا على أقدامهم غير محمد بن الحسن فانه ما برح مكانه فجعل هرون ينظر إليه فلما دخل أذن له دون الناس فقلت فى نفسى أراه يريد أن يخلو بعقوبته على تركه القيام إليه ثم خرج محمد فاتبعته إلى منزله فسألته عن حاله فقال لما دخلت عليه قال لى إنى عزمت على قتل مقاتلة بنى تغلب وأن أسبى ذرارهم فقلت ولم ذاك يا أمير المؤمنين ؟ . وقد صالحهم عمر بن الخطاب على ما صالحهم عليه فقال لى : ان عمر إنما كان صالحهم على أن لا يصبغوا أولادهم يعنى غمسهم فى المعمودية وقد صبغوا الأولاد فخرجوا بذلك من الأمان فقلت إن عمر قد أقرهم بعد صبغهم الأولاد على أمانهم فدل ذلك أنه قد كان أمضى لهم أمانهم بلا شريطة عليهم فيه فقال لى إن عمر إنما كان ترك قتالهم بعد ذلك لقصر المدة فقلت له ان المدة وإن قصرت بعد ذلك فانه قد كان بعده إماما عدل طالت مدتهما فلم يهيجاهم ، عثمان وعلى فدل ذلك على أنهما كانا أمضيا لهم الصلح بلا شريطة عليهم فيه فقال لى أخرج أ ه .

وزاد الصيمرى فى روايته بطريق ابن عطية وكان الحسن بن زياد
ثقیل القلب على محمد بن الحسن فقام ودخل الناس من أصحاب الخليفة
فأمهل الرشيد يسيراً ثم خرج الآذن فقال : محمد بن الحسن • فجزع
أصحابه له فأدخل فأمهل ثم خرج طيب النفس مسروراً فقال قال لى :
مالك لم تقم مع الناس ؟ • قلت كرهت أن أخرج من الطبقة الذين جعلتني
فيهم ، إنك أهلتني للعلم فكرهت أن أخرج إلى طبقة الخدمة التي هي
خارجة منه وإن ابن عمك صلى الله عليه وسلم قال : من أحب أن يتمثل
له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار • وأنه إنما أراد بذلك العلماء
فمن قام بحق الخدمة وإعزاز الملك فهو هيبه للعدو ومن قعد اتبع السنة
التي عنكم أخذت فهو زين لكم • قال : صدقت • ثم سأله عن
بنى تغلب - ثم ساق جوابه بنحو ما سبق - وقال فى آخره : فهذا
صلح من الخلفاء بعده ولا شيء يلحقك فى ذلك وقد كشفت لك العلم
ورأيك أعلى • قال : لكننا نجربه على ما أجروه إن شاء الله أمر نبيه
بالمشورة فكان يشاور فى أمره ثم يأتيه جبريل بتوفيق الله ولكن عليك
بالدعاء لمن ولاه الله أمرك ومر أصحابك بذلك وقد أمرت لك بشيء
تفرقه على أصحابك فخرج له مال كثير ففرقه أه • ومثله فى تاريخ
الخطيب وتلك الأمور تدل على مبلغ صرامته فى الحق سواء تعلق
بالمسلمين أو النصارى ودرجة صراحته فى ادحاض الباطل وبعده عن
المدحاجة والمداهنة مهما لقي فى هذا السبيل وصدق عزيمته فى خدمة
العلم والدين •

نتف لطيفة وفوائد ثمينة يروىها بعض أصحابه عنه

ففى مناقب الكردرى عن الحسن بن شهب أنه قال رأيت محمد بن
الحسن يذهب إلى الصباغين ويسأل عن معاملاتهم وما يديرونها
فيما بينهم أه • انظر إلى هذا المجتهد العظيم كيف كان لا يكتفى
بما عنده من العلم بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وسائر

فقهاء الأمصار وبماله من السعة في العلوم العربية حتى كان يرى نفسه في حاجة إلى تعرف وجوه التعامل بين أرباب الصناعات ومعرفة وجوه الفرق بين العرف القديم والعرف الحديث الطارئ حتى يسلم كلامه من الخطأ في أي ناحية من فواحي تبين أحكام الشرع هكذا يكون بذل الجهد واجتهاد الرأي .

قال ابن أبي العوام حدثني أبو جعفر الطحاوي قال سمعت إبراهيم ابن أبي داود (البرلسي) يقول سمعت يحيى بن صالح الوحاظي يقول : حجبت^(١) مع محمد بن الحسن (زميلا له) وقلت له حدثني بكتابك في كذا - من كتبه في الفقه - فقال لي : ما أنشط له فقلت أنا أقرؤه عليك فقال لي : أيهما أخف على عندك قراءة إياه عليك أو قراءتك على ؟ قلت : قراءتي عليك . فقال لي : لا . قراءتي إياه عليك أخف على لأنني إذا قرأته عليك استعمل بصرى ولساني لا غير ، وإذا قرأت أنت على استعملت بصرى وذهنى وسمى فذلك أثقل على أ هـ . وثقل الذهبي أيضا في جزئه ، والوحاظي هذا هو الذي كان يفضل محمد بن الحسن على مالك في الفقه وهو شيخ البخاري أيضا كما سبق بيانه ، وهي فائدة طريفة .

وذكر البدر الزركشي في البحر المحيط أن محمد بن الحسن قال : إذا كنا نقبل رواية أهل العدل وهم يعتقدون أن من كذب فسق فلان نقبل رواية أهل الأهواء وهم يعتقدون أن من كذب كفر . أولى أ هـ .

قال ابن أبي العوام سمعت محمد بن أحمد بن حماد يقول سمعت محمد بن شجاع يقول سمعت معلى بن منصور الرازي يقول : كان محمد

(١) وما في تاريخ الخطيب (٢ - ١٧٩) عن اسمعيل بن عياش في حجتهما ، في سنده على انقطاعه ضعفه وفيه البهراوى وعنه يقول النسائي : كذاب ليس بثقة ولا مأمون .

ابن الحسن إذا خبر أن قوما يذكرون أصحاب أبي حنيفة بسوء تمثل
بهذا البيت :

محمّدون وشر الناس منزلة من عاش في الناس يوما غير محسود

وفى مناقب الكردي عن ابن جبلة أنه قال سمعت محمدا يقول :
لا يحل لأحد أن يروى عن كتبنا إلا ما سمع أو علم مثل علمنا أ هـ .
وذلك أن أصحاب أبي حنيفة كانت عادتهم أن يجرى الحجاج بينهم في
المسألة يومين أو ثلاثة أيام ثم يدونون المسألة من غير ذكر الحجة
في الغالب اكتفاء بما طال الأخذ والرد بشأنه بذكر الحجج قبل
التدوين فإذا سمع أحد المتفقهة منهم يدلون بالحجة يسكن إليها قلبه ،
وكذا إذا علم مثل علمهم وإلا يكون أمره تقليدا أعشى .

وروى ابن أبي العوام عن الطحاوي عن إبراهيم بن أبي داود أنه
قال سمعت يحيى بن صالح الوحاظي يقول حجبت مع محمد بن الحسن
فلما كنا بمنى رأيت خالد بن عبد الله (وهو أبو الهيثم الواسطي) فصرت
إلى مجلسه فازدحم عليه أصحاب الحديث حتى آذوه . فقال : عسى
لو سئل هؤلاء عن مسألة من الفقه ما عرفوا الجواب فيها . فقلت :
أصلحك الله سلهم فعسى أن يكون فيهم من ليس كذلك . فسأل عن
مسألة فأجبتة أنا فيها فاستحسن جوابي وقال لي من تعلمت هذا ؟ فقلت
من محمد بن الحسن وهو حاج معك . قال فقال لي : إذا فرغنا فامض
بي إلى مضربه حتى أسلم عليه فلما مضيت معه إلى محمد بن الحسن
فلما رآه قام إليه وأعظمه أ هـ .

وروى أيضا عن الطحاوي عن ابن أبي عمران أنه سمع الطبري يقول
قال لي حميد أبو العباس كانت الحلقة في المسجد يوم الجمعة ببغداد
لبشر بن الوليد فلم يزل كذلك ونحن نجالسه فيها حتى قدم محمد بن
الحسن علينا (من الرقة) فأتيناه فكنا نتعلم منه مسائله هذه ثم تأتي

بشر بن الوليد فمسأله عنها فتؤديه بذلك فلما كثر ذلك عليه ترك لنا
المنطقة وقام عنها . قال الطحاوي فسمعت ابن أبي عمير ان يقول سمعت
أبا عبد الله محمد بن الحسن بن أبي مالك يقول رأيت بشر بن الوليد
يوماً عند أبي وقد ذكر محمد بن الحسن فقال له فقال له أبي : لا تفعل
يا أبا الوليد ثم قال له . هذا محمد قد صار له في يد الناس ما صار
من هذه الكتب التي فيها مسائله التي ولدتها وعلمها فنحن نرضى منك
أن تقول لنا وضع سؤال مسألة وقد أعفك الله عز وجل عن
جوابها . فقال الطحاوي فسمعت ابن أبي عمير ان يحدث عنه أبو عن
ابن الثلجي قال كانوا إذا قرءوا على الحسن بن أبي مالك مسائل محمد
ابن الحسن هذه قال لم يكن أبو يوسف يدقق هذا التدقيق الشديد أ هـ .

وبشر بن الوليد هذا هو رواية أبي يوسف ومنه سمع أبو يعلى
الموصلى كتب أبي يوسف حتى إن الذهبي يذكر في طبقات الحفاظ
ما معناه : لو لا طول أمد سماع أبي يعلى هذا لكتب أبي يوسف من
بشر بن الوليد لملا سنده وأدرك فلا فافلا أ هـ . وهذا يدل على
أن كتب أبي يوسف من الكثرة بحيث أن اتمام سماعها يحول دون علو
السند مع سرعة المحدثين في العوض والسماع حتى إن منهم من يسمع
جامع البخاري في ثلاثة أيام وهذا يريد ما يقال أن كتاب الأمامي
لأبي يوسف وحده في ثلاثمائة جزء وإلا لما أخره سماع كتبه عن علو
السند والله أعلم ، والحسن بن أبي مالك من أئمة أصحاب أبي يوسف
وأقربهم رحمهم الله .

وروى ابن أبي العوام عن الطحاوي أيضا عن سليمان بن شعيب
الكيصاني عن أبيه قال : أئمتنا محمد بن الحسن وقال : إذا اختلف
الناس في مسألة فحرم فقيه وأهل آخر وكلاهما يسمعه أن يجتهد رأيه
فالصواب عند الله عز وجل واحد ، حلال أو حرام ولا يكون عنده حلال
وحرام وهو شيء واحد ولكن الصواب عنده عز وجل واحد وقد كلف

من وسعه اجتهدا لرأى ان يجتهد رأيه حتى يصيب الحق الذي عنده في رأيه فان أصاب الحق الذي هو عند الله عز وجل في رأيه واجتهاده وسعه ذلك وكان قد أصاب ما كلف به وأدامه وان كان قد أصاب ما كلف به من اجتهداه في رأيه ولم يصب الحق عند الله عز وجل بعينه فقد أدى ما كلف به وكان مأجورا فاما أن يقول قائل قد أحل فقيه وحرم فقيه في فرج واحد وكلاهما صواب عند الله عز وجل فهذا ما لا ينبغي أن يتكلم به ولكن الصواب عند الله عز وجل واحده وقد أدى القوم ما كلفوه به حين اجتهدوا وقللوا باجتهدهم ووسعهم الذي فعلوا وان كان أحدهما قد أخطأ الذي كان ينبغي أن يقول به إلا أنه قد اجتهد فقد أدى ما كلف به وان كان أخطأ لأن الصواب عند الله عز وجل في الأشياء كلها واحده وهذا كله قول أبي حنيفة وأبي يوسف وقولنا . أ هـ .

وهذا يدل على أن أبا حنيفة وأصحابه لم يكونوا من المصنوبة وأخطأ من حكى عنهم ما يوهم ذلك .

وروى أيضا عن الطحاوي قال سمعت محمد بن علي (بن معبد) ابن شداد العبدي يقول سمعت أبي يقول قدمت الرقة ومحمد بن الحسن قاض عليها فأتيت بابها فاستأذنت عليه فحجبت عنه فانصرفت وأقيمت بالرقة مدة لا آتية فيينا أنا في يوم من الأيام في بعض طرقاتها إذ أقبل محمد بن الحسن على دابته بهيئة القضاء فلما رأيته أقبل علي واستبطنت في فوكل بي من يصير بي إلى منزله فلما جلس في منزله أدخلت عليه فقال لي ما الذي خلفك عني مذ قدمت ؟ ، فقد بلغني أنك هنا . فقلت له : أتيت منزلك فحجبت عنك وإنما أقيمتك كما كنت أقيمت وأنت غير قاض . فسأله ذلك وغمه فقال لي : أي حجابي حجبتك ؟ . فظننت أنه يريد عقوبته فلم أخبره به . فقال لي : إذالم تعلق قائي أحييتهم كلهم . فقلت له . إذن تظلم من لم يحجبني قال فدعاهم جميعا وقال لهم لا يدلكم على أبي محمد في حجه عني . ثم التفت إلي فقال . إذا جئت اليثا فلا يكون

بينى وبينك الا الستر الذى يستر الناس عنى فتنحج حينئذ وسلم
فان كنت انا على حالة يتهياً لك الدخول فيها أذفت لك بنفسى وان كنت
على غير ذلك أمسكت فانصرفت . فكنت آتية بعد ذلك والناس على
بابه فأخطاهم وأخطى حجابهم حتى أصلى إلى ستره فأتنحج وأسلم
فيقول لى . ادخل يا أبا محمد فأدخل أو يمسك فانصرف اهـ .

وروى أيضاً عن الطحاوى عن يونس بن عبد الأعلى انه قال
قال : الشافعى . كان محمد بن الحسن إذا قعد للمناظرة فى الفقه أقعد معه
حكماً بينه وبين من يناظره فيقول لهذا زدت ولهذا قصت قال الطحاوى
قال لنا أبو العباس الأبلق كان ذلك الرجل عيسى بن هرون اهـ . وهذا
أعدل طريقة فى المناظرة .

قال الصيمرى أخبرنا عبد الله بن محمد الشاهد قال حدثنا القاضى
مكرم قال حدثنا أحمد بن محمد بن المغلس قال سمعت محمد بن سماعه
يقول كان عيسى بن أبان يصلى معنا وكنت أدعوه أن يأتى محمد بن الحسن
فيقول هؤلاء قوم يخالفون الحديث وكان عيسى حسن الحفظ للحديث
فصلى معنا يوماً الصبح وكان يوم مجلس محمد فلم أفارقه حتى جلس
فى المجلس فلما فرغ محمد أدنيته اليه وقلت له هذا ابن أخيك أبان بن
صدقة الكاتب ومعه ذكاء ومعرفة بالحديث . أنا أدعوه اليك فيأبى ويقول
انتم تخالفون الحديث ، فأقبل عليه وقال : يا بنى ما الذى رأيتنا فخالفه
من الحديث لا تشهد علينا حتى تسمع منا فسأله يومئذ عن خمسة
وعشرين باباً من الحديث فجعل محمد بن الحسن يجيبه عنها ويخبر بما فيه
من المنسوخ ويأتى بالشواهد والدلائل فالتفت إلى بعد ما خرجنا وقال
كان بينى وبين النور ستر فارتفع عنى ما ظننت أن فى ملك هذا مثل
هذا الرجل يظهر للناس ولزم محمد بن الحسن لزوماً شديداً حتى
تفقه اهـ .

وعيسى بن أبان هذا جبل من جبال العلم وهو راوى كتاب الحجج

على أهل المدينة عن محمد بن الحسن ومؤلف كتاب الحجج الصغير في الرد على ما ادعاه عيسى بن هرون الهاشمي رفيق المأمون في عهد طلبه للحديث من مخالفة أبي حنيفة لأحاديث صحيحة دونها الهاشمي في كتاب حتى طلب المأمون إلى العلماء أن يبدوا ما عندهم بشأن كتاب الهاشمي هذا ولم يعجبه ما كتبه إسماعيل بن حماد ولا ما سطره بشر ولا ما جمعه يحيى بن أكثم وإنما أعجبه غاية الإعجاب كتاب عيسى بن أبان هذا واعتبره قاضيا على كتاب الهاشمي والقضية معروفة في كتاب ابن أبي العوام وكتاب الصيرى . ولعيسى بن أبان هذا أيضا كتاب الحجج الكبير في الرد على قديم الشافعي وهو سبب انصرافه من العراق في رحلته الأخيرة من غير أن يمكث بها إلا أشهراً يسيرة حيث لم يجد متسعاً لنشر قديمه بالعراق بعد كتاب عيسى بن أبان ، ولعيسى بن أبان أيضا كتاب في الرد على المريسي والشافعي في شروط قبول الأخبار وتحتوي كتبه على تنف في الأصول ينقلها من محمد بن الحسن ، وأبو بكر الرازي كثير النقل من كتبه في أصوله . والحاصل أن عيسى بن أبان هذا يعد جبلا من جبال الحجاج في الفقه .

بعض أقوال منقولة عن أحمد بن حنبل بشأن

كتب محمد بن الحسن

قال الخطيب حدثني خلال قال أخبرنا علي بن عمرو أن علي بن محمد النخعي حدثهم قال أخبرنا أبو بكر القراطيسي قال أخبرنا إبراهيم الحري قال سألت أحمد بن حنبل وقلت هذه المسائل الدقائق من أين لك ؟ قال من كتب محمد بن الحسن اهـ . ونقل الشيخ عبد الحى اللكنوى في مقدمة تعليقه على موطأ الامام محمد عن أنساب ابن السمعاني عن أحمد بن حنبل أنه قال إذا كان في المسألة قول ثلاثة لم يسمع مخالفهم فقبل له من هم ؟ قال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن فأبو حنيفة أبصرهم بالقياس وأبو يوسف أبصر الناس بالآثار ومحمد أبصر الناس بالعريية اهـ .

وفى كتاب محنة أحمد بن حنبل عن موسى بن حزام الترمذى أنه قال كنت أختلف إلى أبي سليمان الجوزجاني فى كتب محمد بن الحسن فاستقبلنى أحمد بن حنبل عند الجسر فقال لى إلى أين ؟ فقلت : إلى أبى سليمان . فقال لى أحمد : العجب منكم تركتم إلى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وأقبلتم إلى ثلاثة إلى أبى حنيفة . فقلت كيف ذلك يا أبا عبد الله ؟ فقال : يزيد بن هرون بواسط يقول حدثنا حميد عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يقول حدثنا محمد بن الحسن عن يعقوب عن أبى حنيفة . قال موسى بن حزام فوق قوله فى قلبى فاكترت زورقا من ساعته فأنحدرت إلى واسط فسمعت من يزيد ابن هرون اهـ . يعنى ما تيسر من الحديث معرضاً عن التفقه . وقال عاصم بن عظام الثقفى : كنت عند أبى سليمان الجوزجاني فأثاه كتاب أحمد بن حنبل : إنك إن تركت رواية كتب محمد جئنا إليك لنسمع منك الحديث ، فكتب إليه على ظهر رقعة : ما مصيرك إلينا يرفعنا ، ولا قعودك عنا يضعنا ، ولت عندى من هذه الكتب أوتاراً حتى أروها حسبة . كما رواه الكردرى ، وجرى من أحمد مثل ذلك نحو يحيى بن صالح الوحاظى فتلقي منه ما هو من قبيل هذا الجواب حتى إنه سمع ما هو أقسى من هذا (١) من بعض أصحابه حينما بدر من أحمد ما هو من قبيل النبيل من أبى حنيفة .

فيأتى ما هو الداعى له إلى هذا الاضطراب ؟ تراه يشنى على كتب محمد بن الحسن وعلمه مرة وتراه يسعى مرة أخرى فى صرف المستمعين إلى كتبه من سماعها بأن يقول هناك علو السند وهو يعلم أن السماع بعلو بدون تفقه قليل الجدوى ، وفى طور آخر يسعى عند القائمين برواية كتبه ليصرفهم أنفسهم عن روايتها بوعده التردد اليهم — إذا عدلوا عن رواية كتبه — لأخذ العلم عنهم . ومتى رأى الناس تلميذاً

(١) ونصه « ان قوله من قول أبى حنيفة انفع من ملء الارض مثلك » كما فى مناقب أحمد لابن الجوزى .

يملى على الأستاذ ما يشاء فى تخيير العلوم ؟ يقول تلميذ لعالم إني آتيك
لأخذ العلم منك إذا تركت تعليم العلم الفلانى وهذا طريف جداً .
ثم تبدر منه بادرة فتقابل بقسوة بالغة كل ذلك منا يصعب تعليقه .

والحق أن أحمد بن حنبل تفقه فى مبدأ أمره عند أبى يوسف ثلاث
سنين وسمع منه الحديث وكتب عنه ثلاثة قماطر من العلم كما ذكره
الحافظ بن سيد الناس فى شرح السيرة وغيره ، واستفاد من كتب
محمد أيضاً كما هنا . ثم زهد فى رأى مطلقاً أعنى الفقه المستنبط .
وكلامه فى رأى مالك والثورى والشافعى وأبى عبيد وأبى ثور وقتياهم
معروف فى مناقب أحمد لابن الجوزى وغيره . وقد أشرفنا الى بعضها
فيما علقناه على الانتقاء لابن عبد البربل انه لما سمع ان أبا يعقوب
اسحق بن منصور الكوسج يروى عن أحمد نفسه مسائل فى الفقه
والرأى بخراسان استاء من ذلك جداً وأشهد على نفسه انه رجع عن
تلك المسائل كما ذكر غير واحد من أهل العلم مع أن كتاب اسحاق بن
منصور فى مسائل أحمد وابن راهويه حقيق بأن يعد أوثق الكتب فى
مسائلهما وعليه يعول الترمذى فى ذكر آراء أحمد وابن راهويه فى
الجامع - وكتاب اسحاق بن منصور هذا من محفوظات الظاهرية
بدمشق - ولم يكن التراجع من أحمد لبطلان تلك الفتاوى بل من تورعه
من أن يكون قدوة فى الفتيا حذراً من تبعة الخطأ فيها بل قطع التحديث
قبل وفاته بنحو ثلاث عشرة سنة كما ذكره أبو طالب المكي وغيره فلو كان
يتحمل تبعة رواية ما عنده من الأحاديث لما ساغ له قطع التحديث وكنتم
العلم ، وليس بقليل بين أهل الرواية من غسل كنبه التى أفنى عمره فى
سبيل جمعها وروايتها ، خوفاً من تبعة الرواية .

وأنت تعلم أن جمع القرآن فى عهد أبى بكر رضى الله عنه كان مقروفاً
بكثير من التروى حتى طال الأخذ والرد فى ذلك بين الشيخين إلى أن
اقتنع أبو بكر رضى الله عنه بضرورة الجمع مع ظهور الحاجة اليه ،

وكذلك لما أراد عثمان رضى الله عنه تكثير نسخ القرآن وإرسالها إلى أمصار المسلمين . وكان كثير من الرواة في الصدر الأول لا يرون بادية هذه كتابة الحديث ولا تدوينه وكذلك التفسير والفقه إلى غير ذلك من العلوم وهذا التخرج كلما كان أقدم عهداً كان أقرب إلى العذر لكن يستغرب حدوثه في المائة الثالثة بعد أن مضت الأمة على تدوين العلوم كلها وأقر الجمهور بالحاجة إلى ذلك .

ومن تصور ماذا كان يحدث ؟ لو لم يجمع القرآن بين الدفتين ولم ترسل نسخة المنسوخة تحت إشراف الصحابة إلى أمصار المسلمين ووضعها تحت عناية قراء معروفين ولم يدون الحديث وعلومه ولم تؤسس قواعد الأصول ولم تُولف كتب الفقه وسائر العلوم من شرعية وأدبية وغيرها ، ولا حظ ذلك حق الملاحظة لا يتردد لحظة في سداد ما مضت عليه الأمة . والامام أحمد بن حنبل أسوة غيره من العلماء له أن يرى ما يشاء في الرأي والرواية والفقه والحديث تحت مسؤوليته وله أن لا يرضى أن يكون قدوة في هذا أو ذاك لكن ليس للناس أن يتخذوه قدوة فيما لا يرضى أن يكون هو قدوة فيه على خلاف رغبته وقد قام سائر الأئمة قبله وبعده بما رأوه واجبا عليهم ونحن على آثارهم مهتدون .

وصفة القول أن الامام أحمد بن حنبل كان في مبدأ أمره يكتب الحديث والفقه ويحسن القول في أبي حنيفة وأصحابه ثم اضطربت أقواله في أيام المحنة وكان آخر أمره إحسان القول في أبي حنيفة كما ذكره أبو الورد من أئمة الحنابلة في كتابه في أصول الدين على ما قلناه العلامة سليمان بن عبد القوى الطوفي الحنبلي في شرح مختصر الروضة في أصولهم وهو من محفوظات الظاهرية بدمشق وهو من جملة ما مسخه ابن بديران قرض الله من يصلح من شأنه .

وأما ما يعزى إلى بعض أصحاب أحمد من الكلام في أبي حنيفة وأصحابه فليس مما يضع من شأن هؤلاء الأئمة الفقهاء فدوكم كتاب

السنة لعبد الله بن أحمد وطبقات أبي الحسين بن أبي يعلى وجامع
حرب بن إسماعيل ونقص عثمان بن سعيد فستبين منها معتقد الطاعنين
قيمة طعنهم هل هي مما يلحق هؤلاء الأئمة الفقهاء فيضع من عظيم
مقدارهم أم هي مما يسفه أحلام المتقولين فيرددهم .

قول محمد بن الحسن في المسائل التي كان النزاع قائما فيها

في عهده مما يتعلق بالاعتقاد

قال الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي في شرح
السنة : حدثنا إسماعيل بن الحسين البخاوي المعروف بالزاهد بالري
قال سمعت أبا محمد سهل بن عثمان بن سعيد قال حدثنا أحمد بن
خالد قال سمعت أبا عبد الله بن أبي حفص قال سمعت أبا عظمة سعد بن
معاذ الدورقي يقول سمعت أبا سليمان الجوزجاني يقول سمعت محمد بن
الحسن يقول : من قال القرآن مخلوق فلا تصلوا خلفه بأه . يعني
ما هو قائم بالله ، وأما خط الكتاب وصوت القارئ ، والصور الذهبية
في ذهن الحافظ فحدوثها محسوس مشاهد فمن حاول أفكار ذلك وأكفر
فيما هو غير قائم بالله فهو مكابر للحسن معاند للبدئية مهما كان مقامه بين
الرواة فيرثي لدين من دون في كتابه سياق ما روي في تكفير من وقف
في القرآن ، يريد من وقف عن النطق بأنه غير مخلوق بالنظر إلى عدم
ورود ذلك في الكتاب والسنة الصحيحة ، وسياق ما روي في تكفير
من قال لفظي بالقرآن مخلوق بناء على حدوث اللفظ ولفظه . وبلغ غلو
بعض الرواة في ذلك مبلغا يخاف منه وتصرح بكل أسف أن ابن أبي حاتم
ويعومنده الحفاظ في عداد هؤلاء الغلاة .

وقال اللالكائي أيضاً أخبرنا محمد بن سليمان ثنا أبو علي الحسن
ابن يوسف بن يعقوب ثنا أبو محمد أحمد بن علي بن زيد العجواني
ثنا أبو عبد الله محمد بن أبي عمرو الطواويسی ثنا عمرو بن وهب قال

سمعت شداد بن حكيم يذكر عن محمد بن الحسن في الأحاديث التي جاءت - إن الله ينزل إلى السماء الدنيا ونحو هذا من الأحاديث - أن هذه الأحاديث قد روتها الثقات فمن فروها وثقوا بها ولا يفسرها هـ . وقا أيضاً أخبرنا أحمد بن محمد بن حفص حدثنا محمد بن أحمد بن سلسلة حدثنا أبو محمد سهل بن عثمان بن سعيد بن حكيم السلمي سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد يقول سمعت أبا سليمان داود ابن طلحة يقول سمعت عبيد الله بن أبي حنيفة الديوسي يقول سمعت محمد ابن الحسن يقول : اتفق الفقهاء كلهم من الشرق إلى الغرب على أن الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أقتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه قد وصفه بصفة لا شيء هـ .

وهذا يرد على المتقولين بأنه كان يدعو إلى القول بخلق القرآن أو إلى رأى جهم وكان لا يرى الخوض في الصفات كما هو مذهب السلف الصالح وهو المختار بالنظر إلى ذلك العهد ثم جد من النحل ما يقضي بضرورة التأويل دفعا للشبه وقمعا للمقائلين بالصوت والحركة ونحوهما في جانب الله تعالى الله عن ذلك هـ وقال الصيمري أخبرنا عبد الله بن محمد نا مكرم نا محمد بن مسرور ثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد قال حدثنا شعيب بن أيوب عن الحسن بن زياد قال سمعت محمد بن الحسن يقول : مذهبي ومذهب أبي حنيفة وأبي يوسف ، أبو بكر ثم عمر ثم علي ثم عثمان (رضي الله عنهم) هـ . وقوله في الإيمان كقول أبي حنيفة فيه أنه المقد والكلمة وتفصيل ما كان عليه من المعتقد في الأبواب كما هو مبين في عقيدة الطحاوي ، ومن ضاق صدره من ذلك وأخذ يرميه بالتجهم أو الارزاء فهو بعيد عن السنة بعد الأرض عن السماء .

بعض كلمات أهل العلم في الثناء على محمد بن الحسن

ذكر ابن أبي العوام الحافظ بسنده أن مالك بن أنس قال يوماً وعنده أصحاب الحديث : ما يأتينا من ناحية المشرق أحد فيه معنى — وكان في الجماعة محمد بن الحسن فوَقعت عينه عليه فقال — إلا هذا القتي أ هـ . وأفت تعلم أنه أتاه ابن المبارك ووكيع وعبد الرحمن بن مهدي وهو فضله بهذا اللفظ عليهم ، وذكر أيضاً بسنده أن الشافعي قال : ما رأيت أعلم بكتاب الله عز وجل من محمد بن الحسن كأنه عليه نزل ، وقال أيضاً : ما سمعت أحداً قط كان إذا تكلم رأيت أن القرآن نزل بلغته غير محمد بن الحسن ، ولقد كتبت عنه حمل جمل بختي ذكر . قال وإنما ذكرت البختي الذكر لأنه يحمل أكثر مما يحمل غيره الأبل ، وذكر أيضاً أن المزني قال له رجل قال محمد . فقال له : من محمد؟ قال ابن الحسن فقال مرجأ بمن يملأ الأذن سمعاً والقلب فهما ثم قال ما أفا قلته ، الشافعي قاله . وذكر الصيمري بسنده أن الشافعي قال : ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام والعلل والناسخ والمنسوخ من محمد بن الحسن ، وقال أيضاً إني لأعرف الأستاذية على لمالك ثم لمحمد بن الحسن ، وقال أيضاً لو أنصف الناس الفقهاء لعلموا أنهم لم يروا مثل محمد بن الحسن ما جالست فقيها قط فقه منه ولا فتق لساني بالفقه مثله لقد كان يحسن من الفقه وأسبابه شيئاً يعجز عنه الأكابر ، وقال أيضاً : لقد كتبت عن محمد بن الحسن وقر بغير ولولاه ما فتق لي من العلم ما افتق والناس كلهم عيال على أهل العراق وأهل العراق كلهم عيال على أهل الكوفة وأهل الكوفة كلهم عيال على أبي حنيفة ، وقال المزني عن أصحاب محمد ابن الحسن : كانوا والله يملئون الأذان إذا تكلموا ويفتحون للفقهاء ما ينخلق عليهم إذا عقلوا ، فنظر إليه أصحابه فقال والله ما أفا قلته من قبل نقضى حتى سمعت الشافعي يقول ما هو أكثر منه ، وقال الشافعي أيضاً : ما رأيت أفصح من محمد بن الحسن ، وقال أيضاً ما سألت أحداً عن مسألة إلا تبين لي تغير وجهه إلا محمد بن الحسن .

وذكر الخطيب بسنده قال الشافعي : لو أشاء أن أقول أن القرآن نزل بلغة محمد بن الحسن لقلته لفصاحته وقال أيضاً : ما رأيت سمينا أخف روحاً من محمد بن الحسن وما رأيت أفصح منه ، وقال أيضاً ما رأيت أعقل منه ، وقال أيضاً حملت من محمد بن الحسن وقر بختي كتباً ، وقال أيضاً كان محمد بن الحسن الشيباني إذا أخذ في المسألة كأنه قرآن ينزل عليه لا يقلم حرفاً ولا يؤخر ، وقال أيضاً لرجل قال له خالفك الفقهاء : وهل رأيت فقيها قط ؟ إلا أن تكون رأيت محمد بن الحسن فإنه كان يملأ العين والقلب وما رأيت مبداً قط أذكى من محمد ابن الحسن : وقال أيضاً : أمن الناس على في الفقه محمد بن الحسن .

وذكر كثيراً منها النووي في التهذيب والذهبي في جزءه ومن جملة ما ذكره الذهبي في جزءه ما رواه ابن كاس النخعي عن أحمد بن حماد بن سفيان عن الربيع عن الشافعي أنه قال : ما رأيت أعقل ولا أفقه ولا أزهد ولا أروع ولا أحسن قطاً وإراداً من محمد بن الحسن .

وقال الذهبي لم يروه غير أحمد بن حماد أقول أحمد بن حماد لم يتكلموا فيه وله شواهد ، وفي مناقب الكردي عن الشافعي أنه قال : أعانني الله برجلين باين عينية في الحديث ومحمد بن الحسن في الفقه ، وفيه عنه أيضاً : لقيته أول ما لقيته وهو قاعد في الحجرة وقد اجتمع عليه الناس فنظرت إلى وجهه وكان من أحسن الناس وجهاً فاذا جبينه كأنه عاج ثم نظرت إلى لباسه وكان من أحسن الناس لباساً وسألته عن مسألة فيها خلاف وإني أطمع أن يلحقه ضعف أن أن يلحن في كلامه فمر كالسهم فتوى مذهبه ولم يلحن في كلامه ، وفيه أيضاً عنه : كنت أختلف إلى محمد بن الحسن وأجالسه حتى سمعت كتبه ، وفيه أيضاً عنه : ليس لأحد على منة في العلم وأسباب الدنيا ما لمحمد بن الحسن على . وكان يترحم عليه في عامة الأوقات . وفيه عنه أيضاً : ما رأيت رجلاً أعلم بالحلل والحرام والناسخ والمنسوخ من محمد . وفيه عنه أيضاً :

ما رأيت أحداً أعلم بالفتيا من محمد بن الحسن كأنه كان يوفق لها .
وفيه عنه أيضاً : ما رأيت مثل محمد ينطق بالحكمة ويسمع ما لا يجب
فيحتمل .

وذكر البدر العيني في (مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار)
عن ابن الأثير وابن كثير وغيرهما من أقوال الشافعي في محمد بن الحسن
ما لا يخرج مما تقدم ، وكذا التقى التسيمي في طبقاته .

وأخرج ابن أبي العوام بسنده عن داود الطائفي أنه قال في حق
محمد بن الحسن - وهو حدث - : إن عاش فسيكون له شأن وعن
أبي يوسف في حفظ محمد بن الحسن - وهو شاب : هكذا يكون
الحفظ . وعنه أيضاً في حق محمد بن الحسن - وهو صغير - : أي
سيف هو غير أن فيه صيداً وهو يحتاج إلى جلاء ، وعنه أيضاً في حق
محمد : هو أعلم الناس ، وفي لفظ من أعلم الناس . وعن يحيى بن معين :
كُتِبَ الجامع الصغير عن محمد بن الحسن أ ه - وهو في تاريخ
ابن معين رواية الدوري عنه وهو من محفوظات الظاهرية بدمشق -
وأخرج ابن أبي العوام أيضاً عن الحسن بن أبي مالك أنه قال حينما قرءوا
عليه مسائل محمد بن الحسن هذه : لم يكن أبو يوسف يدقق هذا
التدقيق الشديد أ ه وأسأف ذلك كله في كتاب ابن أبي العوام الحافظ .

وأخرج الصيمري بسنده عن أبي عبيد أنه قال : ما رأيت أحداً
أعلم بكتاب الله من محمد بن الحسن أ ه . وفي مناقب الكردي عن
محمد بن سلام أنه قال : أنفقت على كتب محمد عشرة آلاف درهم
ولو استقبلت من أمري ما استديرت ما اشتغلت إلا بكتب الرجل
الصالح محمد بن الحسن . وسئل عيسى بن أبان ، أبو يوسف أفتقه
أم محمد ؟ فقال اعتبروا بكتبهما . يعني أن محمداً أفتقه . وعن محمد

ابن سلمة : أنه جزأ الليل ثلاثة أجزاء جزء للنوم ، وجزء للصلاة ، وجزء للدرس . وكان كثير السهر فقليل له : لم لا تنام ؟ قال كيف أقام وقد قامت عيون المسلمين تعويلا علينا وهم يقولون إذا وقع لنا أمر رفعناه إليه فيكشفه لنا فإذا فطنا ففيه تضييع للدين أ هـ .

وفى تاريخ الخطيب (ج ٢ ص ١٧٤) بسنده إلى إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة أنه قال : كان محمد بن الحسن له مجلس في مسجد الكوفة وهو ابن عشرين سنة أ هـ . وذكر الذهبي في جزئه : ويحكى عن محمد بن الحسن ذكاء مفرط وعقل تام وسؤدد وكثرة تلاوة ، قال الطحاوى : سمعت أحمد بن أبي عمران يحكى عن بعض أصحاب محمد ابن الحسن أن محمداً كان حزبه في كل يوم وليلة ثلث القرآن ، قال أبو خازم سمعت بكر بن محمد العمى يقول : إنما أخذ ابن سماعة وعيسى بن أبان حسن الصلاة من محمد بن الحسن انتهى ما ذكره الذهبي .

وروى ابن أبي العوام عن الطحاوى عن ابن أبي عمران عن محمد ابن شجاع أنه كان يقول على انحرافه من محمد بن الحسن (ميلا منه إلى شيخه الحسن بن زياد) : ما وضع في الاسلام كتاب في الفقه مثل جامع محمد بن الحسن الكبير . وروى أيضاً عن الطحاوى عن محمد بن الحسن بن مرداس عن محمد بن شجاع أنه قال : مثل محمد ابن الحسن في الجامع الكبير كرجل بنى داراً فكان كلما علاها بنى مرقاة برقى منها إلى ما علاه من الدار حتى استنتم بناءها كذلك ثم نزل عنها وهدم مراقبها ثم قال للناس : شأنكم فاصعدوا أ هـ .

والحق أن هذا الكتاب آية في الابداع ينطوى على دقة بالغة في التفريع على قواعد اللغة وأصول الحساب خلا ما يحتوى عليه من المضى على دقائق أصول الشرع الأغمر فلعله ألفه ليكون محكاً لتعرف نباهة

الفقهاء وتيقظهم في وجوه التفریع ، يحار العقل في فهم وجوه تفریعه
في ذلك إلى أن تشرح له وهو كما قال ابن شجاع أولاً وآخرأ إلا أن
مراقى الكتاب أعيدت إلى أبواب الكتاب كما يظهر من شرحي الجمال
الحصیری على الجامع الكبير حيث يقول في صدر كل باب من أبواب
الكتاب : أصل الباب كذا ، وبني الباب على كذا . فبذلك سهلت
معرفة وجوه التفریع جداً .

قال محمد بن سعد : نشأ بالكوفة وطلب العلم وطلب الحديث
وسمع سماعاً كثيراً وجالس أبا حنيفة وسمع منه ونظر في الرأي فغلب
عليه وعرف به وفقد فيه وقدم بغداد فنزلها واختلف إليه الناس وسمعوا
منه الحديث والرأي أ هـ .

وذكر الخطيب بسنده عن علي بن المديني أنه سئل عن محمد بن
الحسن فقال صدوق ومشله في المنتظم لابن الجوزي وتعجيل المنفعة
لابن حجر وقال الذهبي في جزئه احتج الشافعي به في الحديث وقال
الذهبي أيضاً في ميزان الاعتدال : لينة النسائي وغيره من قبل حفظه
وكان من يحور العلم والفقه قويا في مالك أ هـ . فياليت شعري كيف
يكون قويا فيما سمعه عرضاً ، لينا في ما أفنى فيه عمره وحقاً أن أهل
الجرح قعدوا على شفا حفرة من النار كما يقول ابن دقيق العيد ، وقال
البدر العيني في رجال معاني الآثار : قال سبط بن الجوزي في مرآة
الزمان قال علماء السير : كان محمد بن الحسن اماماً حجة في جميع
العلوم قلت والذي ينقله جده في كتاب الضعفاء في حقه عن أحمد بن
حنبل ويحيى بن معين تحامل فحاشي هذين الامامين أن يتكلموا بسوء
في مثل الامام محمد مع علمهما واعترافهما بعلمه الغزير ودياقته وأما تته
وثقته وورعه وزهده ومناقبه كثيرة جداً انتهى ما ذكره البدر العيني .

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه ان في كتاب السير لمحمد بن الحسن
صاحب الرأي عن الواقدي أحاديث فلم يضبطوا عن محمد بن الحسن

وروا عن محمد بن الحسن عن الواقدي أحاديث وروى الباقي عن محمد ابن الحسن عن مشايخ الواقدي مثل خارجة بن عبد الله بن سليمان بن ثابت ، وعن محمد بن هلال ، وعن الضحاك بن عثمان وهذا كله عن الواقدي عن محمد بن الحسن عن هؤلاء المشايخ أ ه .

فان كان يريد بالكلام المذكور الطعن في تلك الأحاديث باعتبار أنها مروية بطريق الواقدي فالواقدي وثقه غير واحد من الأقدمين وإن طعن فيه أفاست لأسباب لكنها غير مقبولة عند هؤلاء وإن كان يريد أنه يروى مرة عن الواقدي عن المشايخ ثم يروى أحاديث أخرى عن هؤلاء المشايخ مباشرة من غير توسط الواقدي فما المانع من أن يكون محمد سمع أحاديث من الواقدي عن مشايخه وسمع أحاديث أخرى عن هؤلاء المشايخ مباشرة ومحمد قديم الحج وقد أدرك من هو في طبقة هؤلاء مشايخ المدينة كأسامة الليثي وعبيد الله العمري وابن أبي ذئب . وقد قال البدر العيني رواية عن أبي حفص : أن الواقدي كان يأتي إلى محمد ابن الحسن فيقرأ عليه محمد كتاب المغازي ويقرأ عليه الواقدي كتاب الجامع الصغير ، ومثله في مناقب الكردي . وهذا من رواية الأقران بعضهم من بعض وكيف يستغنى محمد عن مثل الواقدي في المغازي ولم يستغن أبو يوسف عن محمد بن إسحاق في ذلك ولا يتحاكم في مثل هذا الامام الجليل إلى مثل العقيلي وابن عدي من أذيان الحشوية . وكان محمد بن الحسن بعيداً عن مدار حشوية الرواة صريحاً في استخفاف أحلامهم كشيخه أبي حنيفة فطالت ألسنتهم فيهما بخلاف أبي يوسف فإنه كان يدارهم حتى قالوا أبو يوسف كان منصفاً في الحديث وأما أبو حنيفة ومحمد فكانا مخالفين للآثر . وليس بين أئمتنا من يناهض السنة الصحيحة ولكن من يرى جلوس الرب على العرش وحركته وقدم الحرف والصوت والانحياس إلى الخوارج في مسألة الايمان أو إلى القدرية يتقول ما يشاء من غير أن يلتفت إلى هرائه أحد سوى أشكالهم في الغواية هداهم الله .

كتب محمد بن الحسن ومصنفاته

لم يصل إلينا من أى عالم فى طبقته ، كتب فى الفقه قدر ما وصل إلينا من محمد بن الحسن بل كتبه هى العباد للكتب المدونة فى فقه المذاهب فكم رأينا بين المحامين الباحثين فضلا عن قضاة الشرع الفقهاء من يرغب رغبة صادقة فى نشر كتب محمد بن الحسن اعترافاً منهم بأن كتبه هى أسس الكتب المدونة فى فقه المذاهب .

وقد قام جماعة من فطاحل العلماء بالهند تحت رئاسة العلامة المحدث الفقيه أبى الوفاء حفظهم الله بالبحث عن كتب الأقدمين من الفقهاء فى خزائن العالم لنشرها وتقرى ومساعدتهم هذا مشكور جداً لقيامهم بواجب عظيم كان أهل الشأن أهملوه قروفاً سدد الله سبحانه خطراتهم ووقفهم لاقتاج هذا العمل النافع انه سنيع مجيب .

ولا يخفى مبلغ استمداد الكتب المدونة فى المذاهب من كتب محمد ابن الحسن فالأسدية التى هى أصل المدونة فى مذهب مالك إنما الفت تحت ضوء كتب محمد كما سبق والشافعى إنما ألف قديمه وجديده بعد أن تفقه على محمد وكتب كتبه وحفظ منها ما حفظ ، وابن حنبل كان يجاوب فى المسائل من كتب محمد وهكذا من بعدهم من الفقهاء .

فأكبر ما وصل إلينا من كتب محمد هو كتاب الأصل المعروف بالمبسوط وهو الذى يقال عنه أن الشافعى كان حفظه وألف الأم على محاكاة الأصل وأسلم حكيم من أهل الكتاب بسبب مطالعة المبسوط هذا قائلاً هذا كتاب محمدكم الأصغر فكيف كتاب محمدكم الأكبر . وهو فى ستة مجلدات وكل مجلد منها نحو خمسمائة ورقة يرويه جماعة من أصحابه مثل أبى سليمان الجوزجاني ومحمد بن سماعة التميمي وأبو حفص الكبير البخارى وقد قدر الله سبحانه ذيوها عظيماً لهذا الكتاب يحتوى على فروع تبلغ عشرات الألوف من المسائل فى الحلال

والحرام لا يسع الناس جهلها وهو الكتاب الذى كان أبو الحسن بن داود يفاخر به أهل البصرة وطريقته فى الكتاب سرد الفروع على مذهب أبى حنيفة وأبى يوسف مع بيان رأيه فى المسائل ولا يسرد الأدلة حيث تكون الأحاديث الدالة على المسائل بمتناول جمهور الفقهاء من أهل طبقته وإنما يسردها فى مسائل ربما تعزب أدلتها عن علمهم فلو جردت الآثار من هذا الكتاب الضخم تكون فى مجلد لطيف وتوجد عدة نسخ كاملة منه فى خزانات اصطنبول منها ما هو فى ستة مجلدات وهى نسخة مكتبة فيض الله ومنها ما هو فى أربعة مجلدات وهى نسخ مكتبات جاز الله ولى الدين وقره مصطفى باشا ومراد ملا وأقدمها نسخة مراد ملا وكلها من رواية الجوزجاني وعدد المجلدات مما يختلف باختلاف الخط ، ويوجد فى مكتبة الأزهر مجلد من أوله وفى دار الكتب المصرية عدة مجلدات باسم الأصل وباسم كتاب فى الفروع من غير أن تتم بها نسخة واحدة .

ومما وصل إلينا من كتبه ، الجامع الصغير وهو كتاب مبارك مشتمل على نحو ألف وخمسمائة واثنين وثلاثين مسألة قد ذكر فيه الاختلاف فى مائة وسبعين مسألة ولم يذكر القياس والاستحسان إلا من مسألتين وقدر الله سبحانه الذیوع البالغ له أيضا حتى شرحه أئمة أجلاء استقصى الشيخ عبد الحى اللكنوى فى (النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير) ذكر شراحه . ومن جملة رواته فى اثبات الشيوخ ، الجوزجاني وأبو حفص وعلى بن معبد ، وبوبه أبى طاهر الدباس والزعفراني وليس فيه غير سرد المسائل . وكان سبب تأليفه أن أبا يوسف طلب من محمد بعد فراغه من تأليف المبسوط أن يؤلف كتابا يجمع فيه ما حفظ عنه مما رواه له عن أبى حنيفة فجمع هذا الكتاب ثم عرضه عليه فقال نعمنا حفظ عنى أبو عبد الله إلا أنه أخطأ فى ثلاث مسائل فقال محمد أنا ما أخطأت ولكنه نسى الرواية . ويقال إن أبا يوسف مع جلالة قدره

كان لا يفرق هذا الكتاب في حضر ولا سفر . وطبع الجامع الصغير
هذا في الهند بتعليق الشيخ عبد الحى اللكنوى وفي اصطنبول ومصر .

ومن كتب محمد أيضاً كتاب السير الصغير يرويه عن أبي حنيفة
وحاول الأوزاعى الرد على سير أبي حنيفة فجاءه أبو يوسف ومنها
الجامع الكبير وهو كتاب جامع لجلال المسائل مشتمل على عيون
الروايات ومتون الدرايات بحيث كاد أن يكون معجزاً كما يقول الأكملى
فى شرحه على تلخيص الخلاطى للجامع الكبير ، وسبق أن قلنا قول
ابن شجاع فيه : انه لم يؤلف فى الاسلام مثله فى الفقه . وقال الامام
المجتهد أبو بكر الرازى فى شرحه على الجامع الكبير : كنت أقرأ بعض
مسائل من الجامع الكبير على بعض البرزين فى النحو (يعنى أبا على
الفارسى) فكان يتعجب من تغلغل واضع هذا الكتاب فى النحو .
وروى ابن أبى العوام بسنده عن الأخفش ثناء بالغا فى حق هذا الكتاب
من جهة موافقته للعربية تمام الموافقة وكتب العلامة الشريف النقيب
جمال الدين بن عبيد الله من الموصل بتاريخ المحرم سنة خمس عشرة
وستمائة إلى القاضى شرف الدين بن عتير يقول فيه : كنت مذكراً من طویل
تأملت كتاب الجامع الكبير لمحمد بن الحسن رحمه الله ولارتقم على
خاطرى منه شيء والكتاب فى فنه عجيب غريب لم يصنف مثله إلى أن
سأل فيه عن مسائل استشكلها وأجاب عنها الملك المعظم عيسى وأوردتها
فيما رد به على الخطيب وذكر نصوصاً من الكتاب المذكور مما يدل
على تغلغل محمد وشيخه فى أسرار العربية . وهذا الكتاب يعدلقة
الفقهاء ، يختبر به تفاوت مداركهم ومبلغ يقظتهم فى الفقه . وقد أقر
جماهير أهل العلم باستحقاق واضعه فى العربية وبأهله حجة فى اللغة .
كما أنه حجة فى الفقه وقد أقر بذلك ابن تيمية فى مواضع على انقراجه
من أهل رأى مع أنك ترى الشافعية أنفسهم يختلفون فى كون
الشافعى حجة فى اللغة كما يستفاد من بحث مفهوم الصفة فى البرهان
لابن الجوينى .

وقد شرح هذا الكتاب عشرات من الأئمة ولم تزل تلك الشروح الخالدة محفوظة في خزائن العالم ، وتوجد نسخ عديدة من الجامع الكبير في مكتبات اصفنبول وأقدمها نسخة مكتبة الفاتح بها وتوجد أيضا نسخة في مكتبة ولي الدين شيخ الاسلام وفي مكتبة (يني جامع) بها أيضا ، وقد روى الجامع الكبير عن محمد جماعة كثيرة من أصحابه وفي جملة هؤلاء على بن معبد بن شدداد .

ومنها الزيادات وزيادة الزيادات ألفها بعد الجامع الكبير استدراكا لما فاتته فيه من المسائل وتعدان من أبدع كتبه وقد غنى أهل العلم ، بشرحهما عناية كاملة وتوجد نسخ منهما في خزائن اصفنبول وهما من الكتب المروية عنه بطريق الشهرة وغلط من ذكرهما في عداد النوادر ويقال في سبب تأليفه للزيادات أن أبا يوسف فرع فروعا دقيقة في أحد مجالس إملائه ثم قال : يشق تفريع هذه الفروع على محمد بن الحسن . ولما بلغه ذلك ألف الزيادات لتكون حجة على أن أمثال تلك الفروع وما هو أدق منها لا يشق عليه تفريعها والله تعالى أعلم .

ومنها كتاب السير الكبير وهو من أواخر مؤلفاته ألفه محمد بعد أن انصرف أبو حفص الكبير إلى بخارى فأنصرت روايته في البغداديين مثل الجوزجاني وإسماعيل بن توبة القزويني وقد احتفى الرشيد بهذا الكتاب جداً وأسمعه ابنه الأمين والمأمون وعظم قدر هذا الكتاب معروف وقد شرحه جماعة من الأئمة وقد طبع شرح السرخسي عليه في الهند في أربعة مجلدات ولشيخ مشايخنا العلامة محمد المنيب العيتابي تعليق نفيس عليه سماه (التيسير على السير الكبير) وهو موجود بمكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة بالمدينة المنورة ، وتوجد نسخ خطية من السير الكبير بمكتبات اصفنبول ، وسبق أن ترجم كتاب السير الكبير إلى اللغة التركية بقلم شيخ مشايخنا العيتابي المذكور في عهد السلطان محمود خان العثماني ، تسهيلا لاطلاع المجاهدين من قهراد الجيوش في الدولة

على أحكام الجهاد ، ثم طبعت الترجمة المذكورة فى اصطنبول ، وتلك الكتب الستة أعنى المبسوط والصغيرين والكبيرين والزيادات يعد ما حوته من الروايات ظاهر الرواية المذهب من حيث أنها مروية بطريق الشهرة أو التواتر ويعد باقى كتب محمد فى الفقه غير ظاهر الرواية لورود باقى الكتب بطريق الآحاد دون الشهرة والتواتر .

فمنها الرقيات وهى المسائل التى فرعها محمد بن الحسن حينما كان قاضياً بالرقعة رواها عنه محمد بن سماعة وكان معه طول بقاء محمد بن الحسن بها ، ومنها الكيسانيات وهى التى رواها عنه شعيب بن سليمان الكيسانى يرويها الطحاوى عن سليمان بن شعيب عن أبيه عن محمد ويقال لها الأمالى وتوجد قطعة منها فى المكتبة الآصفية فى حيدر آباد الدكن بالهند ودائرة المعارف^(١) هناك على عزم طبع تلك القطعة كما بلغنى من صديقى العلامة المحدث الفقيه أبى الوفاء شيخ الحديث بالمدرسة النظامية فى حيدر آباد الدكن ، ومنها الجرجانيات يرويها على بن صالح الجرجانى عن محمد ، ومنها الهارونيات وله كتاب النوادر رواية إبراهيم بن رستم ، وآخر رواية ابن سماعة ، وآخر رواية هشام بن عبيد الله الرازى وقد أصبحت تلك الكتب نواذر فى الخزانات كما أن مسائلها تعد نواذر فى المذهب .

وله كتاب الكسب يقال إنه مات قبل أن يتمه وكانوا سألوه أن يؤلف كتاباً فى الورع فجأوبهم بأنى ألقت كتاباً فى البيوع يريد أن المرء إذا طاب مكسبه حسن عمله فلما أصرروا على الطلب بدأ فى تأليف هذا الكتاب لكن المنيّة حالت دون إتمامه وكان شمس الأئمة السرخسى شرح كتاب الكسب هذا كما فى التراجم ، وفى دار الكتب المصرية كتاب محفوظ تحت رقم ١١ فى فن الصناعة فى نحو خمس وأربعين ورقة يبحث

(١) وكم لها من أباد بيضاء على العلم مشكورة مدى الدهر .

عن المكاسب يقال انه تلخيص ابن سماعه لكتاب الكسب لمحمد مكتوب على ظهره. (كتاب الاكساب في الرزق المستطاب) بديع في بابه ولكن في النفي شيء من نسبة الكتاب بهذا الاسم إلى ابن سماعه والله أعلم .

وطبع حديثاً كتاب في المخرج والحيل باسم محمد بن الحسن وهو المقيد باسم أبي يوسف بدار الكتب المصرية ، وقد قال ابن أبي العوام سمعت ابن أبي عمران يقول سمعت ابن سماعه يقول سمعت محمد بن الحسن يقول (عن كتاب في المخرج والحيل كان يتداوله بعض الناس) : هذا الكتاب ليس من كتبنا وإنما ألقى فيها . قال ابن أبي عمران : إنما وضعه إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة . وكنت تكلمت على هذا فيما علقته على كتاب زغل العلم للذهبي بص ١٤٠٠ .

وأما الكتب التي تعلب فيها رواية الحديث من كتبه فبين أيدينا منها كتاب الموطأ ثدوين محمد من روايته عن مالك وفيه ما يزيد على ألف حديث وأثر من مرفوع وموقوف مما رواه عن مالك وفيه نحو مائة وخمسة وسبعين حديثاً عن نحو أربعين شيخاً سوى مالك ، وهذا الموطأ من مسوعات أبي الوليد الباجي من أبي ذر الهروي كما في أواخر شرح الموطأ له (ج ٧ ص ٣٠٠) وبه انتشر موطأ محمد بالأندلس وأسانيد الموطأ برواية محمد مبسوطه في أنبات شيوخنا من المشاركة وسبق ذكر أهمية هذا الموطأ عند بيان رحلة محمد إلى مالك رضي الله عنهما ، وشرحه على القاري والبيرى شارح الأشباه وعثمان الكماخي . وطبع موطأ محمد بالهند مرات مع التعليق للمجد لعبد الحى اللكنوى . لكن أدخل حديث كان في هامش نسخة أبي على الصواف في الصلب خطأ وهو حديث القراءة خلف الإمام من رواية الشيخ أبي على عن محمود المروزي إلى آخر السند فاضطرب لذلك اللكنوى في رجال هذا السند ظناً منه أن أبا على هو شيخ لمحمد بن الحسن ولا دخل لمحمد بن الحسن في هذا الحديث أصلاً فإن أبا على هو محمد

ابن أحمد بن حسن الصواف من رجال القرن الرابع راجع ترجمة شيخه المروزي في تاريخ الخطيب (ج ١٣ ص ٩٤) وهناك يسوق هذا الحديث ، وإدخاله في الصلب عمل أحد الناسخين والنسخة المنقولة عن نسخة الاتقاني المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤٣٩) على الصواب ، واضطرب الشيخ عبد الحي أيضا في رجال حديث الشعبي في صلاة القاعد (محمد ثنا بشر ثنا أحمد أخيرا إسرائيل) لكن محمداً في أول السند هو أبو علي الصواف المذكور وبشر شيخه هو بشر ابن موسى الأسدي راوية موطأ محمد وأحمد هو أحمد بن مهران النسوي صاحب محمد وراوى الموطأ عنه وإسرائيل شيخ محمد بن الحسن الامام وقد سقط محمد من بين أحمد وإسرائيل كما يظهر من نسخة أخرى محفوظة بها تحت رقم (٤٤٠) أدخل الناسخ هنا خاصة عدة من الرواة المتأخرين عن محمد في صلب السند كما هو عادة كثير من الأقدمين وقد ألف في رجال موطأ محمد العلامة قاسم الحافظ .

ومن كتب محمد بن الحسن كتاب الحجة المعروف بالحجج في الاحتجاج على أهل المدينة وقد وصلت إلى أيدينا قطعة كبيرة منه طبعت بالهند قديما عن النسخة للمصورية بالمدينة وسبق ذكره في (ص ١٠) ومنها كتاب الآثار يروى فيه عن أبي حنيفة أحاديث مرفوعة وموقوفة ومرسلة ويكثر جلدًا عن إبراهيم النخعي شيخ الطريقة العراقية ، ويروى فيه قليلا عن نحو عشرين شيخا سوى أبي حنيفة وهو كتاب نافع للغاية ولشايعها عناية خاصة بروايته في أثباتهم وقد ألف الحافظ ابن حجر (الايثار بعرفة رواة الآثار) في رجاله باقتراح صاحبه العلامة قاسم الحافظ ثم ألف هو أيضا كتابا آخر في رجاله ، وكذلك لمحمد مسند أبي حنيفة المعروف بنسخة محمد . ومن جملة ما يذكره محمد ابن اسحاق النديم من مؤلفاته في فهرسته : كتاب اجتهد الرأي ، وكتاب الاستحسان ، وكتاب الحجج يحتوى على كتب كثيرة وكتاب الخصال ، وكتاب الرد على أهل المدينة ، وكتاب أصول الفقه .

فأولية رسالة الشافعي في الأصول إما تصح بالنسبة إلى مذهبه وهو يفتش الطوائف قبله في الأصول في الأم وهامو لمحمد كتاب في الأصول ولأبي يوسف أيضا كما ذكره طاحه الحافظ ولأبي حنيفة كتاب الرأي كما سبق كل مالك يروي أصوله عن ربيعة عن ابن المسيب كما في صلة ابن بشكوال .

أسانيد بعض كتب محمد بن الحسن

المذكورة في اثبات المشايخ

وتذكر في غالب الأثبات والمعاجم على اختلاف القرون أسانيد كثير من كتب محمد بن الحسن منها الآثار والمسند والموطأ والأصول الستة له وكان الجمال الحصري انفرد في عصره بروايتها سماعاً بطو عن الحسن ابن منصور الأوزجندی عن الظهير الحسن المرغيناني عن عمه أبي القاسم محمد بن عبد الزور عن شمس الأئمة السرخسي بأسانيد المعروفة في الكتب الستة وعن الحصري بروها الصدوق سليمان الأذري وعنه الشمس السروجي وعنه القطب عبد الكريم الحلبي وعنه عبد القادر القرشي وعنه القاضي الزين المرافي وعنه يحيى بن محمد الأقصري وعنه البرهان الكركي وعنه السراج الحافوتي وعنه ابنه محمد وعنه الخير الرملي وأسانيد مشايخنا إليه مندوبة في الأثبات لكن لا بأس في أن نصير هنا إلى أسانيدنا في كتب محمد بن الحسن المذكورة .

أما كتاب الآثار له فأرويه بعموم الاجارة عن شيخنا العلامة أبي الإخلاص علي^(١) زين العابدين بن الحسن بن موسى الأصبهاني عن شيخه العلامة التحرير أستاذ الأساتذة أحمد شاكر بن خليل الاصبهاني عن شيخه المحقق الحافظ محمد غالب الاصبهاني عن شيخه العلامة

(١) توفي بعد اذان الجمعة ١٨ صفر سنة ١٣٣٦ عن ٧٤ سنة ودفن بمقبرة السلطان محمد الفاتح باصطنبول اغدق الله على جدته سحبا رحمتة .

المسند سليمان بن الحسن الكريدي عن المحدث المعمر أبي المحاسن يوسف
ابن اسمعيل عن الفقيه المحدث محمد هبة الله البعلی الناجي المتوفي
سنة ١٢٢٤ (ح) وأنبأنا به عالياً بعموم الاجازة المحدث الورع الشيخ
الحسن بن عبد الله القسطنطوني عن أحمد حازم النوشوري عن العلامة
محمد أسعد امام زاده عن محمد هبة الله البعلی عن صالح بن ابراهيم
الجيني عن محمد بن علي المكني عن أبي الضمير أيوب بن أحمد
الدمشقي عن ابراهيم بن محمد الاجدب عن الحافظ محمد بن طولون
عن أبي بكر محمد بن أبي بكر بن أبي عمر عن البرهان الحلبي الحافظ
عن أبي عمر محمد بن أحمد بن أبي عمر عن أبي الحسن علي بن البخاري
عن ابن الجوزي عن ابن البطي عن ابن خيرون عن الضمير عن
أبي اسحق ابراهيم بن أحمد الطبري عن أبي بكر الرازي عن أبي عامر
عمر بن تميم بن سيار عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد بن الحسن
الشياني • وأرويه أيضاً بقراءة أوائله وإجازة الباقي عن محمد صالح
الأمدي عن الشيخ فالح عن عبد الغني الدهلوي عن محمد عابد السندي
بسنده المذكور في حصر الشارح بطريق ابن حجر إلى أبي حفص الكبير
البخاري عنه •

وأما مسند محمد بن الحسن فأرويه بعموم الاجازة بالسند إلى
ابن طولون عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي عمر عن أم محمد
عائشة ابنة محمد العمري عن أبي الحجاج يوسف المزي الحافظ عن
ابن البخاري عن ابن الجوزي عن ابن البطي عن الحسن بن محمد
الجوهري عن أبي بكر محمد الأبهري عن أبي عروبة الحراني عن جده
عمرو بن أبي عمرو عن محمد بن الحسن الشياني • ويرويهما أيضاً
صالح الجيني عن أبيه عن الخير الرملي عن محمد بن السراج عمر
الحافوتي عن مؤلف البسترة الشامية محمد بن يوسف النصابي الحافظ
بأسانيده المذكورة في عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان له •

وذكر ابن حجر أسانيده في موطأ محمد والآثار له والسير الكبير له
في المعجم المفهرس .

وأما كتاب الموطأ رواية محمد بن الحسن فأرويه بعموم الاجازة
أيضاً بالسند إلى ابن طولون عن أم عبد الرزاق خديجة ابنة عبد الكريم
الأرموية مشافهة عن أم عبد الله عائشة ابنة محمد بن عبد الهادي
عن الحجار عن أبي الحسن محمد القطعي كتابة عن ابن البطي عن
ابن خيرون وأبي الحسن علي بن الحسين بن أيوب قالاً أنبأنا أبو طاهر
عبد الغفار بن محمد بن جعفر المؤدب أنبأنا أبو علي محمد^(١) بن أحمد
ابن الحسن الصواف أنبأنا أبو علي بشر بن موسى بن صالح الأسدي
أنبأنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن مهران النسائي أنبأنا به محمد بن
الحسن الشيباني رحمه الله .

وأما الكتب الستة له أعني الجامع الصغير والجامع الكبير والسير
الصغير والسير الكبير والمبسوط والزيادات فإني أرويه بعموم الاجازة
أيضاً بالسند إلى صالح الجيني عن الحسن العجيمي عن عبد الفتاح
الخاص عن محمد بن عبد القادر النخري عن السراج عمر الحانوتي
عن محمد بن جرباش عن أبي الخير محمد بن محمد الرومي عن المجد
محمد بن محمد بن علي الحريري عن والده عن قوام الدين الاتقاني
عن الحسين بن علي السغناقي عن حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر
البخاري عن محمد بن عبد الستار الكردي عن البرهان صاحب الهداية
عن أبي حفص عمر النسفي عن أسعد بن عبد الله الغوبديني عن أبيه
عبد الله بن حمزة عن محمد بن أبي سعيد عن جده يعقوب عن أبي سليمان
موسى بن سليمان الجوزجاني عن الامام محمد بن الحسن رحمه الله .

(١) سمع منه أبو ذر الهروي موطأ محمد ومنه سمعه أبو الوليد
الباجي وبه انتشر موطأ محمد بالمغرب .

وأما رواية السير الكبير بطريق اسمعيل بن توبة خاصة فبالسند إلى صاحب الهداية عن تاج الدين أحمد بن عبد العزيز بن عمر عن شمس الاسلام أبي بكر محمد بن علي بن الفضل الزرنجى عن شمس الأئمة الحلوائى عن أبي علي النسفى عن أبي إبراهيم اسحق بن محمد ابن حمدان الملهبى عن أبي محمد الحارثى عن أبي محمد السمنانى عن اسمعيل بن توبة القزوينى القزوب عن الامام أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى رضى الله عنه وأدام تسلسل أسانيد علومه وثقفتنا ببركاته .

وفاة محمد بن الحسن رضى الله عنه

كان ميلاد محمد بن الحسن سنة اثنتين وثلاثين ومائة كما نص عليه ابن أبى العوام وابن سعد والخطيب وغيرهم وسها من قال سنة خمس كما سبق وأما وفاته فكأن سنة تسع وثمانين ومائة باتفاق بين ابن سعد وابن الخياط والخطيب وغلط من قال سنة ثمان كما وقع فى ابن أبى العوام . قال أبو عبد الله الصيمرى أخبرنا المرزبانى ثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوى : مات محمد بن الحسن والكسائى بالرى سنة تسع وثمانين ومائة فقال الرشيد دفنت الفقه والعريضة بالرى . وسبق أنه قيل مات محمد ثم الكسائى بعده بيومين وقيل ماتا فى يوم واحد والله أعلم وفى مناقب الكردرى أن أبا الحسن على ابن موسى القمى ذكر أن محمد بن الحسن دفن بجبل (طبرك) محرقة قلعة بالرى بقرب دار هشام بن عبيد الله الرازى لأنه كان فازلا عليه ، والكسائى بقرية (رنبوية) وبينهما أربعة فراسخ وكان معسكر الرشيد أربعة فراسخ نزل الامام محمد فى جانب والامام الكسائى فى جانب أه وذلك حينما خرج الرشيد الى مقاتلة رافع بن الليث بن نصر بن سيار بسمرقند ، وذكر الذهبى فى جزئه عن يونس بن عبد الأعلى عن علي بن معبد عن الرجل الرازى الذى مات محمد بن الحسن فى بيته (وهو هشام بن عبيد الله) قال حضرت محمداً وهو يموت فبكى فقلت له :

أتبكي مع العلم . فقال لى : أرأيت إن أوقفنى الله تعالى فقال يا محمد ما أقدمك الرى الجهاد فى سبيلى أم ابتغاء مرضاتى ؟ . ماذا أقول ؟ ثم مات رحمه الله هـ . وقال الصيمرى أخبرنا عمر بن إبراهيم ثنا مكرم ثنا محمد بن عبد السلام حدثنى سليمان بن داود بن كثير الباهلى وعبد الوهاب بن عيسى قالوا حدثنا (أحمد بن) محمد بن أبى رجاء قال سمعت أبى قال رأيت محمد بن الحسن فى المنام فقلت له ما صنع بك ربك ؟ قال أدخلنى الجنة وقال لى لم أصيرك وعاء للعلم وأنا أريد أن أعذبك . قال قلت فأبو يوسف قال ذاك فوقى أو فوقنا بدرجة قال قلت فأبو حنيفة . قال : ذاك فى أعلى عليين هـ . وقال ابن أبى العوام الحافظ : حدثنى محمد بن أحمد بن حماد قال حدثنى أحمد بن القاسم البرتى قال حدثنا أبو على أحمد بن محمد بن أبى رجاء قال سمعت أبى يقول : أريت محمد بن الحسن فى المنام فقلت إلى م صرت ؟ قال غفر لى قلت بم ؟ . قال قال لم تجعل هذا العلم فيك إلا ونحن نغفر لك قال قلت فما فعل أبو يوسف قال فوقنا بدرجة قال قلت فأبو حنيفة قال : فى أعلى عليين هـ . ولفظ الخطيب قريب من هذا إلا أنه يرويه بطريق ابن المغلس عن سليمان بن أبى شيخ عن ابن أبى رجاء عن مخمويه أحد الأبدال والله أعلم .

أعذق الله على ضريحه سجال رحمته ورضوانه ونفعنا بعلومه بمنه وكرمه انه قريب مجيب . وأخرج الصيمرى عن المرزبانى عن أبى بكر (بن دريد) عن سعيد السكرى قال أنشدنى اسمعيل بن أبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدى عن أبيه أنه أنشد يرثى محمد بن الحسن والكسائى :

تصرمت الدنيا فليس ظهود	وما قد نرى من بهجة ستبيد
لكل امرئ منام الموت منهل	فليس له إلا عليه ورود
ألم تر شيئا شاملا يبدر البلى	وأن الشباب الغض ليس يعود

سيأتيك ما أفنى القرون التي مضت فكن مستعداً فالفناء عتيد
 أسيت على قاضي القضاة محمد فذرفت دمعى والفؤاد عميد
 وقلت إذا ما الخطب أشكل من لنا؟ بايضاحه يوما وأنت ققييد
 وأقلقنى موت الكسائي بعده وكادت بى الأرض الفضاء تميد
 وأذهلنى عن كل عيش ولذة وأرق عينى والعيون هجود
 هما عالمانا أوديا وتخرما فما لهما فى العالمين فديد
 فحزنى متى تخطر على القلب خطرة بذكرهما حتى الممات جديد

وذكر مثل ذلك ابن عبد البر فى الاقتناء ويعزى إلى الرشيد
 أنه أنشد :

أسيت على قاضي القضاة محمد فذرفت دمعى والفؤاد عميد
 الأبيات فلعله تمثل بأبيات اليزيدى • انتهى ما أردنا ذكره فى هذه
 العجالة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تم بيد الفقير إليه سبحانه محمد زاهد بن الحسن الكوثري
عفى عنهما عصر يوم الخميس تاسع صفر الخير
من سنة خمس وخمسين وثلثمائة وألف

پیشانی من از صفا و زلالی آن صحنه دل‌عجب دیدار و نظار می‌برد
زیباترین صحنه و منظر و سرسبزترین و سرسبزترین صحنه
مناظره و تماشای آن و بهرمنظر و بهرمنظر و بهرمنظر

رقم الصفحة	اسم الموضوع
٣	المقدمة
٤	نسب ومولد الشيباني
٥	مبدأ أمره واتصاله بأبي حنيفة
٧	شيوخه في الحديث
٩	بعض أصحابه وتلاميذه وجنلة ممن أخذ عنه
١٠	رحلته إلى مالک وسماعه الموطأ من لفظه
١١	بعض ما جرى بينه وبين مالک ومقارنة أهل العلم بينهما
١٤	صلته بتدوين مذهب مالک وتفقه أسد بن القرات عند محمد بن الحسن
٢٠	رحلة الشافعي إلى محمد بن الحسن وتفقه عنده
٣٥	أخذ محمد بن الحسن الفقه والحديث عن أبي يوسف
٣٩	هي الكذب من أي النواحي أتيتها
٤٠	زهد محمد بن الحسن في الحكم
٤٤	تف لطيفه وفوائد ثمينه
٥٠	بعض أقوال منقولة عن أحمد بن حنبل بشأن كتب محمد ابن الحسن
٥٤	قول محمد بن الحسن في المسائل التي كان النزاع قائما فيها في عهده مما يتعلق بالاعتماد

اسم الموضوع رقم الصفحة

بعض كلمات أهل العلم في الثناء على محمد بن الحسن	٥٦
كتب محمد بن الحسن ومصنفاته	٦٢
أسانيد بعض كتب محمد بن الحسن المذكورة في	
إثبات المشايخ	٦٩
وفاة محمد بن الحسن رضي الله عنه	٧٢
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٧٣
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٧٤
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٧٥
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٧٦
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٧٧
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٧٨
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٧٩
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٨٠
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٨١
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٨٢
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٨٣
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٨٤
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٨٥
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٨٦
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٨٧
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٨٨
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٨٩
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٩٠
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٩١
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٩٢
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٩٣
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٩٤
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٩٥
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٩٦
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٩٧
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٩٨
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	٩٩
عن محمد بن الحسن في بعض كتبه	١٠٠

رقم الايداع ٩٧/٣٧٦٦
الترقيم الدولي ٦٩٥ - ٥١٦٥ - ٩٧٧

دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع
سنة ١٤٠٤ هـ
الطبعة الأولى - بيروت - لبنان

